العوامل المؤثرة على عمارة المساجد العثمانية الباقية بمدينة صنعاء

"دراسة آثارية معمارية"

رأفت محمد النبراوي*- أحمد رجب أحمد علي*- محمد أحمد عبد الرحمن*

الملخص. تُعتبر المساجد من أهم العمائر الإسلامية على الإطلاق، فقد تسابق الخلفاء والولاه وغيرهم إلى تشييدها وتزيينها، وتُعد اليمن في طليعة البلدان التي أقيمت فيها المساجد الأولى في صدر الإسلام في عهد الرسول ﷺ، وقد شهدت اليمن بعد ذلك انتشاراً واسعاً لعمارة المساجد وغيرها من العمائر الدينية المُختلفة، وتُعد مدينة صنعاء أقدم المدن اليمنية ، وقد شُيد فيها مختلف أنواع العمائر الدينية والمدنية والحربية وغيرها، فقد تسابق الحكام علي الإهتمام بها في مختلف العصور التاريخية نظراً لقيمتها التاريخية والحضارية، وقد شهدت صنعاء خلال فترة الحكم العثماني نهضة حضارية كبيرة وكانت المساجد من ضمن المنشآت التي حرص الولاة العثمانيون علي إنشائها للتقرب من اليمنيين وكسب عطفهم وحبهم، وقد أثرت في عمارة هذه المساجد عدد من العوامل المختلفة منها الموقع والمساحة المتاحة والعوامل المناخية والسياسية وعبقرية المعمار اليمني والتأثيرات المحلية، وقد قمت بعمل مسح شامل لأهم المساجد العثمانية الباقية بمدينة صنعاء، ودراسته هذه المساجد ومعرفة الظروف المحيطة بإنشائها، والعوامل التي أثرت عليها.

مقدمة. ازدهرت الحضارة الإسلامية في بلاد اليمن ازدهارًا عظيمًا وخلفت ورائها تراثًا اسلاميًا كبيرًا في مجال العمارة والفنون الإسلامية، تُشير هذه العمائر اليمنية المختلفة إلي أهمية الإنسان اليمني في هذا المجال من قدرة وابتكار في مقاومة الطبيعة والتغلب علي تضاريسها، ودخلت اليمن تحت الحكم العثماني سنة (923هـ/1517م) وانقسم الوجود العثماني في اليمن إلي فترتين هما الوجود العثماني الأول (945-1045هـ/1538-1635م) والثاني (1289-1336هـ/1872-1918م)، وقد شهدت اليمن خلال العصر العثماني نهضة حضارية كبيرة في كل المجالات، حيث اهتم الولاة العثمانيون خلال تواجدهم باليمن على إنشاء مختلف أنواع العمائر، وقد احتلت

* أستاذ الآثار والمسكوكات الإسلامية كلية الآثار- جامعة القاهرة (مصر)
* أستاذ العمارة الإسلامية ووكيل كلية الآثار - جامعة القاهرة (مصر)
* مدرس بقسم الآثار الأسلامية- كلية الآثار- جامعة الفيوم (مصر)

المنشآت الدينية المقام الأسمى بين العمائر التي حرصوا على تشييدها فقد اهتموا بإنشاء المساجد في كل أرجاء اليمن وفي مدينة صنعاء خاصة، هذا فضلاً عن تجديد القديم منها الذي تعرض للتخريب والهدم والإندثار.

وكان الغرض الأساسي من إنشاء المساجد هو التقرب من الله وطمعًا في الثواب وتخليد الذكرى فضلاً عن رغبة العثمانيين في التقرب من أهل اليمن وكسب حبهم وودهم وتعاطفهم معهم خاصة وأن أهل اليمن كانوا يعتبرون العثمانيون غزاة ومحتلين ولذلك حرصوا على كسب سمعة حسنة بين أهل اليمن لتمجيد ذكراهم وأيضًا لإثبات السيادة العثمانية على اليمن من خلال إنشاء عمائر تحمل طرزهم المعمارية، وكان من بين أهم أسباب اهتمام العثمانيين بالعمارة الدينية هو نشر المذهب السني الحنفي والقضاء على المذهب الزيدي الشيعي الذي كان يعتنقه أهل اليمن، ولذلك أدت هذه المساجد دور المدارس الإسلامية لنشر المذهب السنى، وقد تنوعت طرز تلك المساجد، وأثرت عدد من العوامل في عمارة هذه المساجد سيتناولها الباحث بالتفصيل في هذا البحث وهي الموقع والمساحة المتاحة والعوامل المناخية والسياسية والإختلاف الديني والمذهبي وعبقرية البنّاء اليمني والتأثيرات المحلية.

العوامل المؤثرة على عمارة المساجد العثمانية في صنعاء

أثرت عدد من العوامل في عمارة المساجد فى صنعاء خلال العصر العثمانى فمنها العوامل السياسية والعوامل المناخية والموقع والمساحة المتاحة ورغبة المنشئ وعبقرية البنّاء اليمنى فضلاً عن العامل الدينى والإختلاف المذهبى، وفيما يلى شرح لتأثير كل عامل من هذه العوامل:

1-الموقع[1].

جاء موقع المساجد العثمانية فى صنعاء تأكيدًا على إشتراط المركزية فى موقع المساجد[2] فهذا غاية مهمة فى إختيار الموقع المناسب لمرفق يستخدمه الناس خمس مرات فى اليوم فالمركزية

[1] كان للموقع دور كبير فى تشكيل حضارة اليمن بصفة عامة فيتميز اليمن بموقع جغرافي على جانب كبير من الأهمية إذ يقع على الطرف الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية عند نقطة إلتقاء البحر الأحمر بالبحر العربى وتتقارب عندها القارتين الأسيوية والأفريقية، وقد لعب هذا الموقع الجغرافى المتميز لليمن دور كبير فى إثراء الجوانب الحضارية لليمن منذ أقدم العصور حيث شكل حلقة الوصل بين الحضارات القديمة ووسيلة إتصال اليمن بتلك الحضارات، كما أن وقوع اليمن على طريق التجارة القديمة البرية فيها والبحرية بين الشرق والغرب، فقد جعل موانيه ومدنه الساحلية تتصل بتلك الحضارات المختلفة بما تحمله من ثقافات وعلوم وفنون متباينة الأمر الذى أفرز نوعاً من التأثير والتأثر بين تلك الحضارات والحضارة اليمنية، فضلاً عن أن هذا الموقع الجغرافى أحدث تنوع حضارى وثقافى وتنوع سياسى فاليمن تتميز بتكوينات تضاريسية مختلفة تتمثل فى الجبال العالية شديدة الوعوره وهذا التكوين التضاريسى أوجد بعدًا جغرافيًا عن عواصم الخلافة الاسلامية جعلها ملجأ حصين للكثير من القوى السياسية الطامحة لإقامة دويلات مستقلة، ولذا فقد شهد تاريخ اليمن ظهور عدد من الدويلات المستقلة منذ القرن 3هـ/9م حتى الحكم العثمانى. سالم، الفتح العثماني الأول لليمن، 38-39.

[2] جاء إشتراط مركزية المسجد فى المدينة الاسلامية تأكيداً على أن المسجد الجامع من أهم المنشآت العامة فى المدينة الاسلامية لما له من دور أساسى فى شئون الحياة المختلفة، وحكمت هذه الأهمية للمسجد الجامع موضعه فى المدينة بإعتباره النواة الأساسية فى تخطيطها، فقد كان أول ما نحيط بها من حوله كانت تخطط خطط المدينة وتنتهى اليه شوارعها وسككها وأزقتها، وكان مسجد الرسول ﷺ المثال الأول على ذلك فقد كان مسجد الرسول ﷺ أول شئ اختُط فى وسط المدينة ومن حوله اختطت خطط المهاجرين ثم أصبح هذا الإتجاه قاعدة تقليدية فى المدن الأسلامية بعد ذلك، وكشف ابن الربيع عن السبب الرئيسى وراء اختيار هذا الموقع المتوسط عندما شرط على الحاكم: أن ينشئ فى وسط مدينته "جامعاً" ليتعرف عليه جميع أهلها كناية عن قربه من كل موضع فى المدينة ليسهل الوصول إليه. عثمان، المدينة الإسلامية، 234-235.

تُسهل الوصول إليه من جميع الجوانب المحيطة بمسافات متقاربة نوعاً ما، ولعل اختيار قلب المدينة ليكون مسجدها، يعود كذلك إلى المكانة التى يحتلها الإيمان فى قلب كل مسلم، وأن المسجد الجامع كذلك يمثل العلاقة الترابطية بين أنحاء المدينة[3]، فالمسجد في مضمونه يُشّكل جزءً من المجتمع يلتحم مع بنائه وعمرانه ويتكامل مع خدماته الإجتماعية والتعليمية والثقافية، ولذا كانت المساجد تُعتبر العنصر المعماري الأساسي في المدينة بل إنها تمثل قلب الحي وتلتحم التحامًا عضويًا بالمباني الأخري، فقد شكّل المسجد في فراغ المدينة اليمنية أحد المُلتقيات الهامة التي أعطت المدينة اليمنية تميزاً أكثر بحكم ارتباط وإلتقاء المسجد بفراغات ذات قيمة معمارية ساعدت في زيادة الترابط الإجتماعي والتي من خلالها أكدت أن المجتمع اليمني شكّل فراغاته طبقاً لظروف حياته المعيشية والخصوصية[4]، واحتلت المساجد العثمانية فى صنعاء موقع متميز فى قلب الحارات والأحياء (شكل 1، 2)، فيقع فى وسط الحارة المسجد وتتوزع حوله الشوارع والأحياء كما فى مسجد أزدمر[5] وطلحة[6] ومسجد الطواشى[7]، فهذه المساجد تقع في ركن تصب به عدة شرايين حركة وشوارع مستمرة، ولذا أصبح المسجد عنصر توجيه وتحديد لإتجاه الشوارع والقطاعات السكنية، ونظراً لأهمية المساجد ومكانتها فى نفوس أهل صنعاء فقد سُميت هذه

[3] عزب، الحجر والصولجان، 100.

[4] العلفي، خصائص العمارة اليمنية، 151-153 .

[5] مسجد أزدمر يُعد من المساجد القديمة العامرة في الجهة الشمالية من صنعاء بالقرب من باب شعوب، وقد شيّده الوزير أزدمر باشا وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ولم نتمكن من تحديد سنة البناء على وجه التحديد، ولكن يُرجح أن المسجد بُنى في الفترة من ما بين سنة 956-963هـ/1549-1555م وذلك اعتمادًا على فترة حكم أزدمر باشا وذلك اعتمادًا على ما ذكره المؤرخون عن فترة وجوده في اليمن من سنة 956-963هـ/1549-1555م، كان المسجد يتبع الطراز العثماني المسمى بطراز بورصة حيث كان يتكون من بيت للصلاة يغطيه قبتان ويتقدم بيت الصلاة رواق أو سقفية تطل على الصحن، وذلك طبقًا لما ذكره الحجري عند ذكره للجامع فقال (قبتين بينهما المنارة كالأير بين بيضتين وعمّر تحته تكية للفقراء)، ولكن في عام 1205هـ/1790م قام الإمام المنصور بالله علي بإستبدال هذه القباب بالسقف الخشبي الذي يقوم على 12 عمود. الحجري، مجموع بلدان اليمن، 516، الحجري، مساجد صنعاء، 16-17

[6] يقع مسجد طلحة في حي السرار الشرقي جنوب الطريق النافذة من الخراز والطاووس وشمال الطريق النافذ من الوشلى وجمال الدين إلى جهة داوود وسوق البقر، ويُعتبر من المساجد القديمه في صنعاء، إذ أشير إليه في خطط مدينة صنعاء في ق 4هـ/10م غير أنه لا يعرف على وجه التحديد تاريخ إنشائه، فيذكر المؤرخ ابن لطف الله في كتابه (روح الروح) (أنه في شهر شعبان من سنة 1029ه/1619م أكمل الوزير محمد باشا عمارة مسجد طلحة وعمَّر منارته وأحياه بعد أن كانت عمارته على شفا جرف، ووسّعه فصار جامعًا وذاد فيه منبرًا) ويُفهم من رواية المؤرخ ابن لطف أن مسجد طلحة كان عبارة عن مسجد قديم العمارة وكان صغير الحجم وأن أول من ذاد فيه هو الوالي العثماني محمد باشا حيث عمّر المسجد سنة 1029هـ/1619م، ثم تم توسعته علي يد الإمام المهدي لدين الله عبدالله ابن الامام المتوكل أحمد بن الامام المنصور علي بن المهدي حيث زاد في هذا المسجد زيادة نافعة وجعله قبة وحسنه تحسينا ظاهرًا وكان ذلك في عام 1247هـ/1831م، وقد جاء ذلك في شريط كتابي أعلى الجدار الجنوبي لبيت الصلاة من الداخل سُجل بخط الثلث دون عليه دون عليه تاريخ هذا التجديد بطريقة حساب الجمل، وتبلغ المساحة الكلية الحالية للمسجد 1590م^2، وتتألف هذا المسجد من بيت الصلاة يغطيه قبة كبيرة ويُحيط ببيت الصلاة من الجهة الغربية والجنوبية صحن- صوح بلغة أهل اليمن- تطل عليه ملحقات المسجد من مطاهير. ابن لطف الله، روح الروح، 103. الحجري، مساجد صنعاء، 76، خليفة، مساجد مدينة صنعاء، 93.

[7] يُعتبر مسجد الطواشى من المساجد العامرة في علو صنعاء القديمه شرقى الطريق – النافذة من جهة صلاح الدين إلى جهة خضير، لم تصلنا معلومات كافيه نتحدث عن منشئ هذا المسجد سوى أنه عُرف بالطواشى، وكان رسول سلطان الهند إلى الوالى العثماني في اليمن محمد باشا ويُرجح كثير من المؤرخين أن تاريخ إنشائه سنة 1028هـ/1618م، يتبع المسجد في تخطيطه طراز لمساجد الشائعة في اليمن قبل الفترة العثمانية، غير أن بعض المراجع ذكر أن هذا المسجد كان يسير وفق الطراز العثماني المقبب حيث كان يغطيه قباب أعلى بيت الصلاة ولكن تم تعديله في هذا النسق الحالي، والمسجد الحالي يتكون من قسمين القسم الأول المغطى وهو بيت الصلاة ويغطيه سقف خشبي مستوى والقسم الثاني هو المكشوف وهو الصحن، وهذا المسجد من المساجد الصغيره نسبيًا إذا تبلغ مساحته الاجمالية تقريبًا 60م^2. ابن علي، غاية الأماني، 813، الآنسي الصنعاني، اتحاف ذوي الفطن، 73، مانزوني، اليمن، 181-182، خليفة، مساجد مدينة صنعاء، 85.

الحارات بأسماء المساجد التى تقع فيها كما فى حارة الزمر[8] التى يقع بها مسجد أزدمر وحارة طلحة[9] (شكل 3) التى يقع بها مسجد طلحة وحارة الطواشى[10] التى يقع بها مسجد الطواشي.

وقد أثر الموقع بدوره على شكل المساجد، حيث يتحدد شكل المنشآت وواجهاتها تبعاً لموقعها من الشوارع والحارات والأزقة والعطف، فالمنشآت التى بُنيت فى الخلاء اختلفت بطبيعة الحال عن تلك التى بُنيت على ناصيتي طريق أو تلك التى بُنيت بواجهة واحدة لمجاورتها الجيران، وبمقارنة المساجد العثمانية الباقية بصنعاء قديمًا وفى الوقت الحالى يتضح أنها كانت تحتل قلب الحارات وكان لها أربع وجهات خالية تمامًا ولكن مع التزايد والنمو السكانى فقد شغلت واجهات هذه المساجد بالمنازل الحديثة والحوانيت.

ويبدو أثر الموقع بوضوح فى مسجد ومدرسة أزدمر التى شغلت واجهته الشمالية القبيلية بحوانيت ودكاكين تجارية، وأيضاً فى مسجد الطواشى الذى شغل جزء من واجهته الشرقية بجوار المدخل الرئيسى دكان حديث، في حين أتاح الموقع المتميز لمسجد المرادية[11] بقصر السلاح أن يكون المسجد له أربع واجهات خالية تماماً من أى إشغالات، وأيضاً فى مسجد العُرضى[12] الذي يقع

[8] حارة الزمر من حارات صنعاء القديمة المتوسطة الحجم، ويحدها من الشرق حارة خضير وحارة الطواشي ومن الغرب حارة نعمان وكان اسمها القديم (المحوكة) ومن أشهر دورها بيت الطيري وبيت الهيجة والجنداري، وبها صرحة تُسمى صرحة الوادى، واستغل الوالي العثماني أزدمر جزء من مساحة هذه الحارة في بناء هذا المسجد الذي سُمى باسمه وتحول بعد ذلك إلى الزمر للتخفيف ومنه سميت الحارة. الحاضري، فن وهندسة، 31، منظمة العواصم، أسس التصميم، 149-150.

[9] حارة طلحة من الحارات الكبيرة نسبيًا في مدينة صنعاء القديمة، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مسجد وقبة طلحة الذي يتوسطها، وتقع في وسط حي السرار الشرقي وتبلغ مساحتها 29002م^2، ويوجد بها مسجد أحدهما كبير الحجم وبقبة هو مسجد طلحة ويجاوره المسجد الأخر وهو مسجد الطاووس الذي يُعد من أقدم وأصغر مساجد صنعاء القديمة. نقلاً عن، منظمة العواصم، أسس التصميم، 156.

[10] حارة الطواشى تعتبر من الحارات الكبيرة ويتخللها ثلاث صراحات واسعة وأكبر دور هابيت عبدالرحمن الأنس وبيت مصطفى وبيت اليماني وبيت الوتارى ويحدها من الشمال حاره خضير، ومن الغرب حارة الزمر وبها حمام الطواشى وقد بنى بها الإمام المنصور على 1189–1224هـ/1775-1809م دار الطواشى التي يُقال أن عدد غرفها أكثر من 300 غرفة، وكانت سقوفها من القباب، وبها حوش العندلي ويُقال أن سيف بني ذى يزن قُبر فيه، وهو تابع الآن لدار كبيرة يسكن فيها بيت المتوكل نقلاً عن، الحاضري، فن وهندسة، 29.

[11] يُعتبر مسجد المرادية من المساجد العامرة في قصر صنعاء أعلى المدينة في الجهة الشرقية داخل قصر السلاح الذي كان يُعرف قديمًا بقصر غمدان، وقام بإنشائه الوزير العثماني مراد باشا وكان بداية انشائه سنة 984ه/1576م، وأُكمل بنائه في سنة 985هـ/1677م، ويُعتبر مسجد المرادية من أوائل المساجد المشيدة في اليمن على الطراز العثماني حيث يتبع في تخطيطه طراز بورصه الأول في العمارة العثمانية، فيتكون من بيت للصلاة يعلوه قبة كبيرة ذات قطاع مدبب، ويتقدم بيت الصلاة سقيفة. ابن لطف الله، روح الروح، 198، ابن علي، غاية الأماني، 48، وللمزيد عن المسجد انظر، النبراوي، عنب، مسجد المرادية بصنعاء،1-30

[12] بُنى مسجد العرضي بأمر من السلطان عبدالحميد خان الثاني عام 1318هـ/1938م بحسب النص التأسيسي للجامع والموجود على الجدار الخارجي الجنوبي للمسجد وذلك خلال فترة حكم الوالي أحمد فيضى باشا، فقد ابتدأ بناءه في عهد الوالي أحمد فيضي باشا واستكمل في عصر المشير عبدالله باشا، وقام ببنائه المعماري الشهير اليمني الحاج أحمد بن قصعه، وهو الذي قام ببناء جميع منشآت مجمع العرضي وملحقاته الخدمية، ويذكر المؤرخ الحجري أن هذا الجامع كان مكانه قديمًا مسجد يُعرف باسم (مسجد النقيب) نسبة إلى عامره (النقيب الماس المهدي) وهو من علماء ق12هـ/18م، وجعل له وقفًا الأرض والبئر جوار المسجد وكانت تسمى بئر النقيب، وقد سُمى بمسجد العرضي لوقوعه داخل مجمع العرضي وهو من أهم المنشآت العسكرية في اليمن، أما كلمة عُرضى فأصلها يرجع إلى مصطلحات وكلمات عثمانية وفارسية الأصل فهي تعود إلى كلمة (أوردو)، وتعنى بالتركية الجيش أو القوة العثمانية أو ثكنة الجيش وأطلقت هذه التسمية على الجيوش المغولية التي اجتاحت أجزاء واسعة من آسيا وأوربا وأصبحت تعني (ثكنه عسكرية أو منطقة التجييش وتجميع الجند)، فكلمة الأردو موجودة في كل الأماكن التي تواجد فيها العثمانيون وليست في اليمن فقط فتفسيرها لغويًا بمعنى (مكان الجيش)، أي المكان المُخصص لقيادة الجيش وإدارته وفروعه وسجلاته وكل ما يتعلق بشئون الجيش، ويقع هذا المسجد في الجزء الشرقي من الجهة الجنوبية من مباني مجمع العرضي العسكري الذي يقع منعزلاً عن بقية المباني المجاورة والتي كانت مقرًا للجيوش العثمانية، وهذا المسجد مخصص لصلاة الجنود المرابطين بمبني العرضي وموظفوه، ويتبع الجامع التخطيط التقليدي للمساجد في اليمن قبل العصر العثماني فهو يتكون من قسمين الأول مغطى ويعرف باسم بيت الصلاة، والقسم الثاني مكشوف ويسمى الصحن، بالإضافة إلى مجموعة من الملحقات كالبئر والمطاهير والمئذنة والمنزلة وغيرها. الحجري، مساجد صنعاء، 90-91، دائرة التوجيه المعنوي، المرشد التاريخي للعُرضي، 6-30 ، العرضي، الموسوعة اليمنية، 2052 ، المروني، الوجيز، 67.

داخل مجمع العُرضى العسكري وكان مُخصص لصلاة الجنود المرابطين بالُعرضى، ولذا جاءت واجهاته الأربعة خالية من الإشغالات (شكل 28).

كما أثر الموقع فى توزيع العناصر والوحدات المعمارية فى المساجد العثمانية بصنعاء، فمثلاً المئذنة قد اختلف موقعها من مسجد إلي مسجد حيث حرص المعمار على توجيهها خاصة فى المناطق المأهولة بالسكان لإبلاغهم بالآذان مراعين فى ذلك عدد شرفاتها وفتحاتها وارتفاعها وبالتالي تؤدي دورها علي الوجه الأكمل، فنجدها مسجد أزدمر علي يسار المدخل الرئيسي بالواجهة الجنوبية، وتتشابه مئذنة مسجد طلحة مع هذه المئذنة، أما في مسجد البكيرية فقد شغلت المئذنة الضلع الشرقي من صحن المسجد (شكل 11)، وتنفرد مئذنة مسجد جناح[13] والمذهب[14] عند جميع مآذن فترتها وذلك من حيث موقعها وشكلها العام فهي تقع بين مسجدين هما جناح والمذهب حيث استغل المعمار قرب المسجدين وتجاورهما؛ حيث يفص بينهما ممر صغير وقام ببناء هذه المئذنة والتي تقوم على قاعدة مختلفة نتجت من عمل عقدين نصف دائريين ربطا بين المسجدين (أشكال 17، 18، 19)، أما مئذنة مسجد المرادية فهي تقع في الواجهة الشمالية علي يمين المدخل الرئيسي الموجود بالجهة الشرقية وتميزت بوجود عدد من الفتحات ببدنها تُشبه فتحات المزاغل[15] ؛ وربما جاء ذلك فرضته طبيعة موقع المسجد في قصر السلاح أحد المناطق العسكرية الهامة والتي يمكن استخدام المئذنة كوسيلة من وسائل الدفاع عن المكان (شكل 20)، كما تشابهت مئذنة مسجد العُرضي الذي يقع داخل مجمع العُرضي العسكري وقد جاءت المئذنة كتلة مستقلة تتميز بارتفاعها الشديد واتخذت الشكل الإسطواني وكان يفتح في بدنها أيضاً عدد من الفتحات التي تُشبه فتحات المزاغل للدفاع عن المكان (شكل 28)، كما كان للموقع تأثيره الواضح علي المطاهير[16] والسقيفة التى تتقدم بيت الصلاة وغيرها .

---

[13] مسجد جَنَاح من المساجد العامرة بالقرب من سوق الملح غربي مسجد المذهب بصنعاء، ويرجع عمارته في آخر القرن العاشر ونسبته إلى الشيخ الفاضل محمد بن محمد بن أحمد بن جَنَاح الضمدي القادري المتوفي سنة 991ه/1583م المقبور داخل بيت الصلاة في هذا المسجد. الحجري، مساجد صنعاء وعامرها وموفيها، 46.

[14] مسجد المذهب هو من المساجد العامرة عدنى سوق الملح، ويشترك في الموقع من مسجد جناح المجاور له من الناحية الغربية، ولا يفصل بينهما سوى الممر المشترك التي تعلو بدايته كتلة المئذنة، وهو من المساجد القديمة التي ترجع إلى فترة الوجود العثماني الأول في اليمن غير أنه لم تذكر المصادر التاريخية من قام بعمارته وتاريخ عمارته. الحجري، مساجد صنعاء، 109-110.

15 المزاغل Arrow Slites يقصد به هو عبارة عن فتحة ضيقة في سوق المدينة أو القلعة أو الحصن أو البرج أو البوابة تطلق منها الرماح والسهام وغيرها، كما تُستخدم للتهوية والإضاءة والمراقبة وقد اعتاد المعمار المسلم أن يجعلها ضيقة من الخارج ومتسعة من الداخل لتمكين المكلف بالحراسة فيها من قذف رماحه وسهامه على المهاجمين له في يسر وسهولة. رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون، 277.

16 جمع مطهرة، وفي المصطلح المحلي، جمع مطهار، والمطهرة إناء يُتطهر به، والمطهرة والمطهار بيت يتطهر فيه، تساوي الميضأه في مصر. ابن القاسم، وصف صنعاء، 56.

2-المساحة المتاحة

تختلف المساجد فيما بينها فى الحجم والشكل حسب المساحة المتاحة لها من حيث المكان الذى يبنى عليه المسجد ومعالم الأرض والمنازل والمنشآت التى تجاوره والتى تؤثر فى تشييده وتشييد جدرانه، ويتضح أثر المساحة المتاحة فى شكل مسجد الطواشى الذى بناه الطواشى رسول سلطان الهند الذى قام بتوسعة المسجد بإضافة مسجد قديم كان يقع بجواره يعرف بمسجد عباس عمّره عباس بن محمد الثعلبى[17].

كما لعبت المساحة المتاحة دوراً هاماً فى تخطيط مسجد البكيرية[18] الذى بناه الوزير سنان باشا فى ولاية حسن باشا الوزير والذى كان اللبنة الأولى فى تخطيط هذا المسجد، المدفن الذى دفن به بكير آغا مولى الوزير حسن باشا ثم قام سنان باشا بعد ذلك بإزالة كل القبور التى كانت فى هذا المكان وجمع رفاتها، وشرع بعد ذلك فى بناء هذه المنشأة متعددة الأغراض الوظيفية كما سمحت له المساحة المتاحة أن يقوم ببناء حمام الميدان[19] بجوار المسجد وأوقفه عليه ليصرف ريعه على ترميم وإصلاح المسجد. (أشكال 9، 10، 11)

ويمكن أن نلحظ الدور الذى لعبته المساحة فى تكوين مسجد العرضى داخل مجمع العرضي العسكري، فقد خصص المعمار لهذا المسجد مساحة كبيرة فى وسط هذا المجمع العسكرى تقريباً وقد أتاحت هذه المساحة الكبيرة للمعمار أن يتوسع فى حجم المسجد وأن يقوم بتوزيع عناصره ووحداته المعمارية توزيعًا يؤكد على توفر مساحة كبيرة مُخصصة للمسجد (شكل 28)، كما

17 مسجد عباس يقع بحافة باب شعوب بصنعاء وهو مسجد صغير قديم عمره عباس بن محمد الثعلبي، ذاد جنبه لاصقاً به الطواشي هذا المسجد العظيم في مدة الوزير حسن باشا، ولعل مسجد عباس هذا قد أدخل ضمن مسجد الطواشي. ابن القاسم، يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر، هامش 138-139.

18 يقع مسجد البكيرية في الجهة الشرقية من مدينة صنعاء بالقرب من قصر السلاح ويذكر المؤرخون أن مكان هذا المسجد قديمًا كان مقبرة قديمة عظيمة في أيام الطاعون الذي وقع أيام الإمام شرف الدين وقد أزالها الوزير سنان باشا ليبني هذا المسجد المدرسة العظيمة مكانها، وقد شيدها الوالي العثماني حسن باشا والذي امتدت فترة ولايته علي اليمن من 988 – 1013هـ/ 1580- 1605م، وتُعد من أقوى الفترات في الحكم العثماني في اليمن بالعديد من الأعمال المعمارية والعمرانية سواء في مدينة صنعاء ومن أشهرها هذا المسجد الذي يعد تحفة فنية تُخلد لوجود العثمانيين باليمن، وكان سبب تسميتها بالبكيرية نسبة إلى بكير بك مولى الوزير حسن باشا وكان الوزير يحبه حبًا جمًا، ثم عمر القبة للصلاة فيها وسماه باسم مولاه بكير، وجاء تاريخ إنشاء المدرسة سنة 1005هـ/1597م، عبارة عن شريط كتابي أسفل طاقية المحراب ومضمونها أبيات شعرية تؤرخ بناء المدرسة. وينتمى تخطيط مسجد البكيرية في صنعاء على طراز العمارة الإسلامية في العصر العثماني، ويبلغ مساحتها الكلية 2650.9م^2، وتتكون من قسمين الأول مغطى وهو بيت الصلاة والثاني مكشوف وهو الصحن بالإضافة إلى بعض الملحقات المعمارية الأخرى كالمطاهير والأضرحة، ويتبع هذا التخطيط الطراز العثماني فيما عرف باسم طراز بورصه. نقلاً عن، ابن علي، غاية الأماني ، 769، ابن لطف الله، روح الروح، 224، الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن، 282-283، أبو الفتوح، نظرة عامة على المدارس اليمنية، 114- 115، الحجري، مساجد صنعاء وعامرها وموفيها، 20. وللمزيد عن مسجد البكيرية انظر، ربيع حامد خليفة، البكيرية المسجد والمدرسة (صنعاء: مجلة الاكليل، العدد الأول، السنة الخامس،1987)، غازي محمد، من روائع العمارة الإسلامية في اليمن القبه البكيرية في صنعاء (بغداد: مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد28،1980).Lewcock, The walled city,88

19 حمام الميدان يقع في حي القطيع حارة الميدان، ويرجع تاريخ عمارته إلى الوالى العثماني حسن باشا (988-1012هـ/1580–1603م)، غير أن المصادر التاريخية تشير إلى أن بناءه سبق بناء مسجد ومدرسة البكيرية الذي أمر ببنائها أيضًا الوالي حسن باشا، ويُعتبر حمام الميدان أكبر حمامات صنعاء القديمة إذ تبلغ مساحته 635.5م^2، وجاءت عمارة هذا الحمام على الطراز المعماري اليمني، ولكن أدخل عليه بعض الإضافات التركية جعلته على النسق العثماني. منظمة العواصم والمدن الإسلامية، أسس التصميم المعماري 253، يسر، الموروث الحضاري، 250-251.

أتاحت المساحة المتاحة فى مسجد الصحابى فروة بن مُسيك[20] للوزير حسن باشا بأن يقوم بتوسيع المسجد وزيادة مساحته حيث قام بتوسيع مساحة الفضاءات المسقوفة فيه إلى 11.5م^2 كما سقف بيت الصلاة بقبة على غرار مساجد القبة فى صنعاء القديمة[21]. (شكل 27)

ويتضح أثر المساحة المتاحة أيضاً فى مسجد المدرسة[22] التى قام بتوسعته الوزير حسن باشا سنة1002هـ حيث قام بزيادة كبيرة فى الناحية الشرقية (شكل 21، 22)، وأضاف مدخل عظيم يليق به وجعله مدخل بارز يليق بالملوك أشبه بالمقصورة[23]. (شكل 23، 24)

3-عبقرية البنّاء اليمنى

استعان الولاة العثمانيون بالبنائيين اليمنين فى تصميم وتنفيذ مساجدهم، وقد أظهروا براعة وقدرة كبيرة فى تنفيذ وإنشاء هذه العمائر فى ضوء الموقع والمساحة المتاحة ورغبة المنشئين، فقام البنائون ببناء مساجد الولاة العثمانيين على الطراز العثمانى ذلك الطراز الذى لم يكن منتشراً فى اليمن إلا أنهم قاموا بتصميمه وأبدعوا فى تنفيذه وخير مثال على ذلك كما فى مسجد البكيرية 1005هـ/1596م الذى يعد أروع الأثار العثمانية فى اليمن ويُقال أن الذى وضع تصميمه هو المعمارى سنان باشا[24] وقام بتنفيذه أحد البنّائيين اليمنيين الذى أبدع فى البناء والزخرفة بنفس الأساليب التى كانت مُنتشرة فى المساجد العثمانية فى استتانبول. (شكل 9، 10، 11)

أيضا فى مسجد العرضى 1318هـ/1900م الذى قام بتنفيذه البنّاء اليمنى الشهير أحمد قصعة[25] وهو الذى قام ببناء مجمع العرضى الحربي بأكمله وفق مخططات هندسية دقيقة أعدها

---

[20] مسجد فروة بن مُسَيْك من المساجد العامرة خارج صنعاء في الجهة الشمالية بالقرب من الجبانة – مصلى العيدين – وقد جدّده الوزير حسن باشا في أوائل ق11هـ/17م، حيث عمّر القبة الكبيرة غربي مسجد فروة ولما توفى ابنه قبره بجوار ذلك ومعه قبر الأمير اسكندر بعد حسام الكردى الذي قتله محمود باشا في سنة 971ه/1563م ـ الحجري، مساجد صنعاء، 98.

[20] الحجرى، مساجد صنعاء ، 98.

[22] مسجد المدرسة من المساجد العامرة تقع شرقي مدينة صنعاء القديمة غربي الطريق النافذة من باب شعوب إلى الميدان، ويذكر المؤرخ المجري أنه مسجد صغير قيل أنه من عمارة سعد بن أبي وقاص صاحب رسول الله (ﷺ) كان يسمى مسجد الأزهر، قام الوزير العثماني حسن باشا بتجديد المسجد سنة 1002هـ/1593م بإضافة زيادة كبيرة في الناحية الشرقية وأضاف لها مدخل عظيم يليق بها. الآنسي الصنعاني، اتحاف ذوي الفطن بمختصر أنباء الزمن، هامش 55، الحجري، مساجد صنعاء، 105، خليفة، الأعمال المعمارية لحسن باشا، 185.

[22] خليفة، الأعمال المعمارية لحسن باشا، 89 .

[24] المعماري سنان (894-987ه/1489م-1580م) هو واحد من أعظم المعماريين الذين ظهروا في التاريخ ـ وقال عنه بارتولد في كتابه الحضارة الإسلامية إن الأعمال التي قام بها المعمار سنان لن تكن أقل من الناحية الفنية من الأعمال المعمارية الأوروبية في عصر النهضة، قال عنه العالم الألماني هـ. كلوك إن سنان يتفوق فنياً علي مايكل أنجلو صاحب أكبر اسم فني في الحضارة الأوربية، ومن أعظم أعماله جامع شهزاده (950-954ه/1544-1548م)، وجامع السليمانية بإستانبول(956-964ه/1550-1557م)، وجامع السليمية بأدرنه(975-981ه/1568-1574م)، ومات عام 996ه/1588م وعمره يقارب المائة، ودفن في الضريح الذي أعده لنفسه في جامع السليمانية بإستانبول، وقد ترك مؤلفاً شهيرًا، هو (تذكرة البنيان) يشرح فيها نظرياته والأفكار التي أقام عمائره علي أساسها. للمزيد انظر، حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، 157-169، علاوي، المعمار العثماني سنان، ص233-248.

[25] الحاج أحمد قصعة هو من أسرة بيت قصعة التي اشتهرت بالبناء المنظم مما دفع العثمانيين اختياره لبناء جميع ثكنات مجمع العرضي الحربي وفقًا لمخططات هندسية دقيقة أعدها المهندسون في استانبول، وقام أحمد قصعه بتنفيذ هذه المخططات على الواقع، واختتم أعماله في هذا المجمع بهذا الجامع الذي اختتم العمل به بتركيب الهلال النحاسي على رأس مئذنة الجامع المتميزة البناء، وبعد اتمام البناء أقيم حفل كبير استقبل فيه البناء أحمد قصعه والبسه الوالي عبدالله باشا البدله العسكرية الرسمية ومنحه لقب الباشا تكريمًا ما انجزه

المهندسون فى استانبول، وقام أحمد قصعة بتنفيذ هذه المخططات على الواقع، واختتم اعماله فى هذا المجمع بهذا الجامع، والذى جاء مُشابه فى شكله العام لباقى وحدات مجمع العرضى فى تناغم رائع وتماثل بديع، وقد أثنى الوالى العثمانى على أحمد قصعة ومنحه لقب الباشوية تكريماً له وإعجاباً بالبناء.[26] (شكل 28)

كما تتجلى عبقرية البناء اليمنى فى حسن استغلاله لمواد البناء المتوفرة فى اليمن فقد كانت الأحجار والياجور (الآجر) من أكثر المواد توفراً فى اليمن بحكم طبيعة البلاد الجبلية ولذا استخدم البناء الحجر بأنواعه فى بناء الأساسات والجدران حتى ارتفاع معين لمايمتاز به الحجر من قوة التحمل، ثم أكمل باقي الجدران بالآجر لخفة وزنه وسهولة تشكيله، كما استغل الاختلاف اللونى فى الحجر فى إحداث تأثير لونى رائع بطريقة المشهر بين حجر الحبش الأسود[27] اللون والحجرالأبيض كما فى معظم جدران مساجد صنعاء خلال العصر العثمانى وفى جدران قبة الزيت[28] بوسط صوح الجامع الكبير بصنعاء (شكل 25، 16)، وكذلك في زخرفة جدران المدخل البارز لمسجد البكيرية بأسلوب رائع (شكل 12)، كما أنه استخدم حجر الحبش فى إحاطة فتحات النوافذ وأركان البناء بشكل رائع كما فى مسجد العرضى 1318هـ/1900 ، وهذه الطريقة التى كانت من مميزات الطراز القوطى الدولى مما يدل على معرفتهم بالأساليب الفنية التى كانت سائدة فى العالم.

كما أبدع البنّاء اليمنى فى استخدام مادة الجص والذي عُرف عند اليمنين بإسم القص[29]، وقد تميز الجص اليمنى بمميزات خاصة فى قوة تماسكه وصلابته واستخدمه المعمار فى معظم أجزاء البناء فى تنفيذ العناصر الزخرفية خاصة الكتابية، كما تتضح عبقرية البناء اليمنى فى

وقام به من عمل جبّار في بناء هذه الثكنة وتنفيذ مخططات المهندسين العثمانيين بنفس الطراز العثماني المعروف. المركز العسكري للوثائق، العُرضي عمارة اسلامية حربية ، 30.

[26] المركز العسكري للوثائق، العُرضي عمارة اسلامية حربية ، 30.

[27] وهو نوع من البازلت المُخرم المتماسك بما يسمى (بالبازلت الإسفنجي) الذي يتميز بصلابته الشديدة وخفة وزنه في نفس الوقت وسهولة نحته وتشكيله وزخرفته، وهذا النوع من الحجر كان من مميزات البناء الصنعاني ولكنه يستخرج من جبل عصر غرب صنعاء وكان يستخدم في البناء الأساسي وزخرفة وكان يستخدم في بناء الأساسات وزوايا البناء،، ومنه أنواع مختلفة تختلف في صلابتها وعمق سوداها وهو من الأحجار الأساسية في كثير من المنشآت الصنعانية حيث يتميز بعدة مميزات: الليونة حيث يمكن نجارته بسهولة كما يتميز بتحمله للجفاف والرطوبة والحرارة وحمل الأثقال، فضلاً عن أنه لا تتأثر بالأملاح والعوامل المناخية مهما غير عليها الزمن وكان له العديد من الإستخدامات. ابن القاسم، وصف صنعاء، 64 ، الحاضري، فن وهندسة البناء الصنعاني، 97-98.

[28] قام الوزير سنان باشا بإضافتها أثناء تجديد الجامع الكبير في صنعاء، وقد تعددت الآراء التي قيلت في وظيفة هذه القبة واستخداماتها حيث ذكر البعض أن الغرض من هذه القبة استخدامها كمخزن لحفظ زيت الاستصباح، بينما يرى آخرون أنها كانت بمثابة بيت للمال المسلمين، وأن الوزير سنان باشا كان يحفظ فيها الأموال التي كانت توزع على الفقراء، ثم استعملت بعد ذلك كغيرها من القباب لحفظ المخطوطات من مصاحف وكتب ووقفيات، ومن أشهر الوقفيات المحفوظة بهذه القبة المسودة السنانية. المروني، الوجيز في تاريخ بناية مساجد صنعاء، 43، الباشا، موسوعة العمارة، 34 ، بهنسي، الجامع الكبير بصنعاء، 66.

[29] عُرفت مادة الجص باسم القص خاصة في بلاد اليمن وذلك راجع لإختلاف لهجة بعض أهل اليمن مثل لهجة أهل صنعاء الذين لايعرفون الجيم ويستبدلونها بالقاف، وعُرف أيضاً الشخص الذي يستخدم هذه الماده باسم المُجصص أو المُقصص حيث وردت توقيعات صناع على الزخارف الجصية بصيغة (عمل المقصص أو كان التجصيص)، وفي كثير من الأحيان كان الصانع يجمع بين حرفة البناء والجصاصة، كما كان مصطلح القص معروف لدي العراقيين بمعنى الجص. العرشي ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، 432، خليفة، دراسات حول الزخارف الجصية والرخامية اليمنية ، 234

ابتكاره للقضاض[30] هذه المادة التى استخدمها بكثرة فى تغطية أسطح القباب من الخارج وذلك لحمايتها من مياه الأمطار والعوامل الجوية نظراً لما تمتاز به مادة القضاض من عزل الأسطح وعدم تسريب المياه، كما استخدمها فى تغطية قنوات تصريف مياه الأمطار الموجودة بالواجهات كما في مسجد طلحة (شكل 16) لحماية الجدران من التشقق والتصدع بفعل مياه المطر[31] وهذا يؤكد على عبقرية البنّاء اليمنى وحرصه على الحفاظ على المبنى وحمايته واستمراريته.

كما حرص البنّاء اليمنى على تحقيق الهدوء والسكينة للمصلين داخل بيت الصلاة وذلك بفصل الداخل عن الخارج فجعل للمسجد مدخل بارز يتقدمه عدد من درجات السلم (شكل 24) ويؤدى بدوره إلى الصوح (الصحن) كمرحلة انتقالية ومن الصوح يتم الدخول إلى البنية (بيت الصلاه) المُخصص للصلاة بعيداً عن الضوضاء الخارجية .

وتظهر كذلك عبقرية المهندسين اليمنيين فى حسن توزيع العناصر والوحدات المعمارية فنجد المئذنة اختلف موقعها من مسجد إلى مسجد حسب الموقع والمساحة المتاحة للمنشأة حرص المعمار على توجيها خاصة فى المناطق المأهولة بالسكان لإبلاغهم بالآذان مراعين فى ذلك عدد شرفاتها وفتحاتها وارتفاعها، وتتجلي عبقرية البنّاء اليمني وحسن تصرفه في بنائه لمئذنة مسجد جناح والمذهب (شكل 18، 19)، حيث يُرجح أن هذه المئذنة لم تكن مُخصصة للآذان، إذ أنه إذا أُذن بداخلها لم يتعد صوت المؤذن بضعة أمتار وذلك لأن الجدار يحجب الصوت فضلاً عن أن النافذة لا تسمح بخروج الصوت كاملاً، فضلاً عن عدم اشتمالها علي شرفة خاصة بالآذان، فلم تكن هذه المئذنة سوى علامة دالة على المسجدين اللذين يقعان بالقرب من سوق ويفتحان على ممر يحجب المارين في السوق عن مشاهده مدخلي المسجدين وإنما يُسهل على المارين مشاهدة المئذنة الواقعة فوق الممر في بدايته وقرب مدخل المسجدين، ومن ثم تدل

[30] القضاض هو نوع من التكسية الواقية والمانعة للمياه من التسرب والنفاذ إلى داخل الجدران، وباطن الأسقف، ويتكون من مونة النورة (الجير) مخلوطاً بفتات صخري من الحجر الجيري، وغالباً من فتات صخري بركاني أسود، يعرف محلياً باسم (الهشاش)، وتتطلب عملية التحضير مهارات خاص ووقت طويل، وكان يُعرف الشخص الذي يقوم بتنفيذ هذه المادة بإسم المُقضض، وهي تساوي مادة الخافقي والصاروج الذي يُطلي به الصهريج في الأسبلة في مصر. الإرياني، القضاض ، 770-772.

[31] تميزت المنشآت المعمارية فى بلاد اليمن بوجود قنوات تصريف المياه الأمطار تمتد بإرتفاع الواجهات بدءاً من مستوى الأرضيات الأسطح العلوية للمنشآت حتى مستوى سطح الأرض وهى عبارة عن قنوات من مادة القضاض تنساب عليها مياه الأمطار النازلة من السطح، وهناك سبب رئيسى كان وراء إقبال اليمنيون على هذه المصارف حيث أنها كانت أقل ضرراً من الميازيب على المنشآت لأن مياه الأمطار تنساب هابطة هدوء دون انحراف يميناً أو يساراً ودون أن تتبعثر إذا اشتد الريح كما يحدث لو استخدمت بدلاً منها الميازيب التى ينتج من سقوط المياه من خلالها رزاز وانحراف لمسار المياه النازلة بإتجاه الواجهات مما يؤدى إلى تسرب المياه إلى داخلها فتعمل على خلخلتها وتشققها وتضفى هذه المصارف على المنشآت التى تنفذ بها مظهراً جمالياً وفنياً رائعاً، فضلاً عن أن الفنانين قد نفذو على تلك القنوات بعض الزخارف النباتية والهندسية. المطاع، المدرسة المنصورية ، 348-349.

هذه المئذنة على مدخل المسجدين، وهي بذلك تجسد أحد وظائف المئذنة كعلامة دالة على المسجدين[32]، ويعكس ذلك عبقرية البنّاء في حسن تصرفه واستغلاله للمساحات المتاحة.

كما راعى المعمار فى اختيار موقع المطاهير[33] والمتخذات[34] واتجاه الرياح وأثرها فى نقل الروائح الكريهة لذا جاء موقعها فى أغلب المنشآت فى الركن الجنوبى الغربى من الصحن وذلك لأن الرياح فى اليمن غالباً إما شمالية أو شمالية غربية صيفاً أو جنوبية وجنوبية شرقية شتاءاً،لذا حرص المعمار على المحافظة على طهارة المسجد وتجنب الروائح الكريهة، كما راعى كذلك أن يكون للمطاهير باب خارجى إلى الشارع مستقل يتوصل إليه دون المرور بالمسجد حفاظًا على قدسية المسجد وتحقيقاً للقاعدة الفقهية (لاضرر ولاضرار).[35]

4- المتطلبات وإمكانيات المنشئ

اختلفت تخطيطات المساجد العثمانية الباقية بصنعاء حسب المتطلبات والإمكانيات المادية للمنشئيين فقد حرص الولاة العثمانيين على تصميم مساجدهم على الطراز العثمانى الواحد لتأكيد السيادة العثمانية على اليمن وفى نفس الوقت حرصوا على كسب ود اليمن والتقرب إليهم وتحقق ذلك بأنهم استعانوا ببنائين يمنيين فى تنفيذ مخططات هذه المساجد والتى جاءت فى شكلها العام على النسق العثمانى، بينما جاءت على النسق اليمنى المحلى من حيث المضمون والزخارف، وكان من ضمن متطلبات البناء أن تؤدى هذه المساجد دور المدارس الاسلامية فقد حرص الولاة العثمانيين على الإكثار فيها لنشر المذهب السنى ومحاربة المذهب الزيدى الشيعى[36] الذي يعتنقه الأئمة الزيدين، ومن أشهر هذه المساجد التى أدت دور المدارس مسجد المرادية والبكيرية.

وكان من ضمن المتطلبات تطبيقاً على مسجد البكيرية الذى كانت بدايته ضريح خاص ببكير أغا مولى الوزير حسن باشا ثم أكمل البناء وأضيفت له مسجد ومدرسة لتصبح مجموعة معمارية ويتضح فى هذه المجموعة امكانيات المنشئ الذى سمحت للوزير حسن باشا فى تنفيذ هذا المسجد المدرسة بهذه الصورة الرائعة لتصبح أعظم الأثار العثمانية الباقية ليس فى صنعاء

---

[32] سيف، مآذن مدينة صنعاء، 129-130.

[33] المطاهير جمع مطهار ويُقصد به موضع الطهور، ويُقصد بها أيضاً مواضع قضاء الحاجة والطهور أيضاً، وعُرفت أيضاً لدي أهل اليمن باسم المتخذات أو المماشي، وهي عبارة عن مبني يتم الإستنجاء والوضوء والتطهر فيه. الحاضري، فن وهندسة ، 170-171.

[34] مُتَّخَذَاتْ: مصطلح محلي ليس له مفرد، تُطلق على أماكن قضاء الحاجة، التي كانت تلحق بالمساجد خارج أفنيتها، ويساويها في المصطلح اليمني كلمة مُستَرَاح: مفرد مستراحات، وهي أماكن قضاء الحاجة على كرسي مرحاض وحوض من حجر كدان يتوصل إليها الماء وكان لكل مرحاض باب خشبي عبارة عن مصراع واحد. القاسم الشهاري، وصف صنعاء ، 56.

[33] عثمان، نظرية الوظيفية ، 354-355، المطاع، المدرسة المنصورية ، 250.

[36] تُنسب الزيدية أصحاب المذهب الزيدي إلي الإمام زيد بن علي بن الحسين، وهي إحدي الفرق الشيعية وأكبر فِرق المسلمين عدداً بعد جمهور أهل السنة، ويجمعها مع أهل السنة الإعتقاد بأن علياً رضي الله عنه أحق بالإمامة والخلافة بعد رسول الله (ﷺ)، وقد ولد زيد بن علي رضي الله عنه بالمدينة عام 82هـ، وتلقي الرواية عن اخيه محمد الباقر وعبد الله بن الحسين وصفوة علماء العلويين، وتعلق به الشيعة قرب نهاية خلافة هشام بن عبد الملك، وبايعه بالكوفة مائيناهز خمسة الآف رجل، إلا أنه تعرض للكثير من المتاعب من قِبل الخليفة هشام بن عبد الملك(105-125ه/723-742م) ، وانتهي أمره باستشهاده، أما مؤسس المذهب الزيدي في اليمن فهو الإمام الهادي إلي الحق يحيي بن الحسين بن القاسم الرسي الذي ولد في سنة 245ه/859م بجبال الرس من جبال المدينة المنورة . العرشي، بلوغ المرام، 337-338.

فحسب بل فى اليمن عامة، فقد اشتهر عن حسن باشا حبه للعمارة والعمران وله العديد من الأعمال المعمارية فى مدن اليمن خاصةً صنعاء وققام بترميم الكثير من المساجد القديمة وقد أتاحت الإمكانيات المادية والإستقرار السياسى فى عهده[37] تنفيذ متطلباتها .

ويكفى الإشارة إلى التجديدات التى قام بها السلطان عبدالحميد الثاني بن عبد المجيد خان فى مسجد البكيرية ليتضح دور المتطلبات والإمكانيات المادية التى سمحت لها بتجديد المسجد بالصورة الرائعة التي عليه الآن وإضافة منبر رخامى رائع وكذلك كم الزخارف الجصية الرائعة المُنفذة على السقيفة التى تتقدم بيت الصلاة.

وفى مسجد المدرسة الذى جدده الوزير حسن باشا يتضح رغبة حسن باشا فى تجديد المسجد وإضافة مدخل عظيم بارز يليق بالملوك وذلك لأن هذا المسجد كان مقابلاً لقصر الإمارة الخاص بالوزير وقد أتاحت الإمكانيات المادية للوزير حسن باشا تنفيذ هذا المدخل البارز ضمن التجديدات والإضافات الأخري علي المسجد. (شكل رقم 23، 24)

وفى مسجد العُرضى الذى يقع فى مجمع العُرضى الحربى والذى أمر ببناؤه السلطان عبد الحميد الثاني رغبةً منه فى بناء مسجد يكون مُخصص للجنود المرابطين بهذا المعسكر الحربى، وكان هذا المسجد آخر العمائر المشيدة داخل هذا المجمع الحربى الذى يُعد أعظم العمائر الحربية فى بلاد اليمن وجاء بهذا الشكل نظراً للإمكانيات المادية التى أُنفقت عليه. (شكل 28)

6- العوامل المناخية

يُعد المناخ من أهم العوامل الطبيعية المؤثرة فى شكل وتطور العمارة الإسلامية، وتقع معظم بلاد اليمن فى نطاق الإقليم المدارى الحار الذى يتعرض صيفاً للرياح الموسمية المشبعة ببخار الماء، هذا فضلاً عن التفاوت غير الهيّن فى درجات الحرارة بسبب الإختلافات مناسيب المرتفعات ويصنف مناخ مدينة صنعاء ضمن المناخ المدارى الجاف البارد شتاءاً حيث أن المتوسط السنوى للحرارة لايقل عموماًعن 17.5 درجة مئوية[38].

[37] وقد ساعدت الوزير حسن باشا عدة عوامل في تحقيق العدل والاستقرار في اليمن لعل أهمها ما يلي:
قوة شخصية حسن باشا وطول خبرته بالأعمال السياسية والإدارية،، طول مدة بقاءه في اليمن حوالي 25 سنة من سنة988-1014ه/1580-1605م، وقد ساعده ذلك علي فهم أوضاع اليمن ومشاكله، واستطاع خلال هذه الفترة الطويلة أن يفرض سيطرته على اليمن، ووصلت سلطة العثمانيين إلى أبعد حد في مناطق اليمن بما فيها جازان ونجران وفي عهده انحازت معظم القبائل عن القتال ثم انحازت إلى العثمانيين، بالإضافة لقوة الدولة العثمانية في تلك الفترة . فضلاً عن قوة شخصية سنان باشا الذي كان يشغل منصب كتخدا(وزير) حسن باشا، والذي اعتمد عليه حسن باشا في كثير من أغلب أعماله العسكرية. سالم، الفتح العثماني، 231- 232.

[36] الدمينى، حلبونى، أثر العوامل المناخية ، 228

وطبقاً لطبيعة المناخ المتعدد والمتغير فى اليمن عامة وفى صنعاء خاصةً برزت أنماط ظهرت التصميمات المناسبة والملائمة لكافة تلك التغيرات[39]، فلا يمكن أن نغفل تأثير المناخ المباشر علي العناصر المعمارية والتي في مقدمتها التغطيات إذ امتاز مناخ بلاد اليمن بأمطاره الغزيرة التي تهطل معظم أيام السنة تقريبًا مما جعل المعمار اليمني يلائم بين العوامل المناخية وبين ايجاده العناصر المعمارية الملائمة لذلك كما سنري، وقد ظهر أثر المناخ واضحاً فى تصميم المساجد العثمانية الباقية بمدينة صنعاء فى النقاط التالية :–

1– التنوع فى مواد البناء المستخدمة فقد استخدم البنّاء اليمنى الأحجار فى بناء الأساسات وكان من أشهر أنواع الأحجار التى استخدمها حجر الحبش الأسود، وتميزت الأحجار وبمقاومتها الكبيرة للإجهادات الناتجة من الأحمال العلوية فضلاً عن مقاومة مادة الحجر للرطوبة بالخاصية الشعرية كما تميز حجر الحبش بصفة خاصة بأنه لايتأثر بالأملاح والعوامل المناخية مهما غير عليها الزمان[40].

وقد استخدم المعمار مادة الآجر فى بناء الجدران والقباب لما يتميز به من خفة وزنه واحتماله للرطوبة والحرارة فضلاً على قدرته وكفاءته فى العزل الحرارى ومقاومته للحرائق حيث أنه سبق حرقه، وكان من أشهر مواد وتقنيات البناء المعالجة للعوامل المناخية مادة القداد والتى استخدمت بكثرة فى تغطية الجدران وأسطح القباب وبرك المياه لما يتميز به القضاض من عدم تأثره بالرطوبة والماء فيساعد فى حماية هذه المبانى من تسرب المياه إليها وتهدمها فهى مادة تتميز بالعزل، ذات كثافة ومسامية عالية وتزداد صلابتها مع الزمان، وقد استخدمت كذلك فى عمل قنوات تصاريف مياه الأمطار والميازيب لحماية الجدران من مياه الأمطار.

2– تغطية بيت الصلاة بالقباب لحماية المصلين من حرارة الشمس صيفاً ومياه الأمطار شتاءاً هذا فضلاً عن ما توفره القباب الهدوء والسكينة للمصلين بفصل كتلة بيت الصلاة عن الخارج، وهذا يُعلل كثرة استخدام وشيوع القباب بالصورة التي عليها في العمارة اليمنية وبخاصه في العهد الرسولي، وكان من سبب الإقبال علي استخدام القباب والتقليل من الأسقف الخشبية ما يترتب عليه المناخ الرطب والممطر وتأثره علي الخشب وعلي الزخارف المُنفذة عليها فضلاً عن ندرة الأخشاب الجيدة في اليمن[41].

[37] العروسي، العمارة اليمنية 2140-2148
[38] ابن القاسم، وصف صنعاء، 64.
[41] الراشد، المنشآت المعمارية الرسولية ، 290-291 .

3- توجيه البناء وأثره فى الأداء الحرارى وتقليل الإشعاع الشمسى صيفاً وزيادته شتاءاً وسبب إختلاف زاوية مسار الأشعة الشمسية لمدينة صنعاء يكون تركيز الإشعاع الشمسى مرتفعاً على الوجهات الغربية والشرقية فى كلا الفصلين (الشتاء والصيف) فى حين يكون تركيز الإشعاع الشمسى مرتفعاً على الواجهات الجنوبية، وتأخذ المبانى فى صنعاء الإستطالة فى اتجاه الجنوب لزيادة تعرض الواجهات للأشعة الشمسة شتاءً وانعدامها صيفاً، ومما يزيد من أهمية الوجيه إلى الجنوب هو هبوب الرياح الباردة شتاءً (الشمالية والشمالية الشرقية) وتكون الأعتبارات المرتفعة فى التوجيه فى صنعاء التوجه نحو الجنوب، وذلك لزيادة الكسب الحرارى فى الشتاء، والحد من تعرضها فى الصيف للأشعة الشمسية، وبهذا يحقق التوجه الجنوبى متطلبات الراحة في فصلي الشتاء والصيف[42] وقد ظهر أثر توجيه المبنى بوضوح فى معظم المساجد العثمانية الباقية بمدينة صنعاء.

4- أثر المناخ فى موقع المطاهير وأشكالها فقد وجد منها نوعين وهما المطاهير الشمسية والتى كانت تستخدم فى الصيف، والمطاهير المغطاة والتى يسميها أهل صنعاء (المطاهير الليلية) لإستخدامها ليلاً خاصة فى أوقات الشتاء.

كما راعى المعمار موقع المطاهير فى مكان بعيد عن بيت الصلاة فجاء موقعها فى أغلب المنشآت فى الركن الجنوبى الغربى من الصحن وذلك وفقًا لخبرة معمارية وملاحظة دقيقة لإتجاه الرياح وكان وضعها فى هذا المكان يُجنب المنشآت الدينية ما ينبعث من روائح كريهة غير مرغوبة تؤذى من بداخل المسجد، وقد كان لعبقرية المعمار اليمنى العامل الاكبر فى تحقيق هذا الهدف والقاعدة الفقهية (لا ضرر ولا ضرار) .

كما أثرت العوامل المناخية والكوارث الطبيعية سلباً على العمائر الدينية فقد تعرضت مدينة صنعاء للعديد من السيول والفيضانات التى أدت إلى تهدم كثير من المساجد والعمائر ففى عام261هـ/875 م تعرضت لسيل جارف حيث تعرض وادى السرار فى صنعاء إلى فيضان غامر دمّر كل ما فى طريقه، ودمّر المسجد الجامع الكبير بصنعاء إلا أنه فى عام 264هـ/878م تم إعادة بناؤه فى عهد دولة بنى يعفر على يد محمد بن يعفر، كما تعرضت صنعاء لسيل آخر عام 1029هـ/1620م فترة الوجود العثمانى الأول الأمر الذى دفع الحاكم العثمانى بتوسيع أرض الوادى وأُعيد بناء السور والخندقيين الشمالي والجنوبي فى المدينة لتُلائم

[42] الدمينى، أثر العوامل المناخية، 229..

المساحة المعدلة للوادى، وتعرضت كذلك صنعاء فى عام 1295هـ/1878م للأمطار شديدة أتت بفيضان كبير من جبل اللوز شمال شرق صنعاء دمّر عدد كثير من المساجد والمنشآت وقام العثمانيون علي أثر هذا الفيضان بترميم المساجد التي دُمرت خاصة تلك التى بُنيت فترة الوجود العثمانى الاول وهكذا يتضح أن العوامل المناخية كان لها دور كبير فى تشكيل العمائر الدينية فى العصر العثمانى[43].

7-العامل السياسى

كان للظروف والأحوال السياسية تأثيرها الواضح على شكل العمارة الدينية خاصة المساجد التى شيدها الولاة العثمانيين فى صنعاء حيث تعتبر العمارة هى التاريخ الناطق والسجل الحقيقى المعبر عن حضارة الإنسان وتطوره السياسى والإقتصادى والثقافى[44].

وقد كان للحالة السياسية وفترات الإستقرار السياسى أثرها الكبير علي العمارة، كما فى عهد الوزير حسن باشا حيث تميز عصره بالإستقرار والهدوء مما هيأ له القيام بالعديد من الأعمال المعماري فى عهده فضلاً عن تجديد العمائر القديمة[45]، وخير دليل على ذلك قيامه ببناء أعظم مسجد فى اليمن حتى الآن وهو مسجد البكيرية وهذا يدل على أن العمارة مرآة تعكس الحالة السياسية .

وقد واجه العثمانيون منذ بداية تواجدهم فى اليمن الصراع مع اليمنيين وبعض القوى السياسية، وكان سبب الثورات التي قام بها اليمنيون ضد العثمانيين نتيجة كثرة الضرائب التى فرضت عليهم، فقد فرض العثمانيين على الشعب اليمنى أنواعاً من الضرائب والرسوم الجمركية ليتمكنوا بواسطتها من تغطية نفقات القوات العثمانية فى ولاية اليمن ومرتبات الموظفين هناك إلى جانب القيام ببعض الإصلاحات وإقامة بعض المنشآت المعمارية ولاشك أن هذه السوم والضرائب قد ضايقت اليمنيين كثيراً لأنهم لم يعتادوا عليها من قبل، هذا فضلاً عن جشع واستبداد بعض الولاة العثمانيين الذين أساءوا معاملة اليمنيين فقد أساءوا إستغلال وظائفهم وكان همهم الأكبر هو جمع الضرائب غير مكترثين بالأهالى وهذا ما أثار خواطر اليمنيين وجعلهم فى إحتراب دائم مع الحكومة العثمانية[46].

[43] مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية caps، تطور العمارة اليمنية ، د.ت.

[44] حيث تعتبر العمارة شاهد سياسى وسجل للعديد من الأحداث السياسية التى مرت عليها أو حدثت فى المنشأة المعمارى أو تركت أثرها عليها كما تجسد العمارة قوة الدولة وتوجهاتها السياسية كما فى قبة الصخرة والحرم القدسى الشريف والتى تعد أبرز العمائر الإسلامية .

[45] للمزيد عن أعمال حسن باشا المعمارية باليمن انظر، خليفة، الأعمال المعمارية لحسن باشا الوزير في اليمن من واقع مخطوط (الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية)، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، عدد12 (صنعاء، 1991)، 169-209.

[46] أباظه، الحكم العثماني في اليمن، 416-417، العظيم، رحلة إلى البلاد العثمانية، 55-56 .

كما تمثل الصراع السياسى بين العثمانيين والأئمة الزيدية العنصر الأساسى فى شكل العمارة فى العصر العثمانى فقد كان أئمة الزيدية هم القوى السياسية التى لم تخضع بشكل نهائى للسلطة العثمانية، بل دخلوا معهم حول مناطق النفوذ والحكم، وقد شكل هذا موقفهم تجاه الزحف العثمانى على اليمن الملامح الأساسية طوال فترة الصراع مع العثمانيين، وكان سبب ذلك الموقف العدائى من قبل الأئمة الزيدية لطبيعة تكوينهم السياسى القائم على أسس مذهبية تؤكد أحقيتهم فى الإمامة، وإقامة دولة الحق – دولة الزيدية فى اليمن – والتى بدأ تأسيسها فى اليمن فى عهد الإمام الهادى إلى الحق يحيي بن الحسين(284–298هـ/897–910م) وتشكّلت ملامحها السياسية للمرة الأولى فى عهد الإمام شرف الدين، ولذلك لم يكن خضوع لسلطة الدولة العثمانية وتنازلهم عن إقامة الدولة الزيدية أمراً سهلاً وهو ما جعل خيار الحرب والمواجهة هى الخيار الأخير أمامهم للحفاظ على ديمومة طموحاتهم السياسية، ويتضح أثر العوامل السياسية على شكل العمارة الدينية فى العصر العثمانى فى صنعاء فى مجموعة من العناصر التالى ذكرها :

– نظراً لإنشغال الولاة العثمانيين بالصراع والحروب الداخلية فى بلاد اليمن والتى أثرت بدورها على العمارة فقد كانت أعداد المساجد المشيدة بصنعاء خلال فترة الوجود العثمانى الأول والثانى قليلة جدًا لاتتعدى 10 مساجد مقارنة بما شيده الولاة العثمانيون فى الولايات العثمانية الأخرى وخير مثال على ذلك مصر وسوريا والعراق وغيرها .

– حرص الولاة العثمانيون على أن يكون بنائهم لتلك المساجد تقرباً لأهل اليمن وكسباً لحبهم وودهم وتعاطفهم وتعاونهم معهم خاصة وأن أهل اليمن كانوا يعتبرون العثمانيين غزاة ومحتلون ولذلك قام الولاة العثمانيون بتكليف البنائيين اليمنيين ببناء هذه المساجد وفق الأساليب والمعايير اليمنية ولم يفرضوا ذوقاً معمارياً معيناً وتلك هى فلسفة الحكم العثمانى فى معظم الولايات العثمانية من إبقاء الأوضاع على ما هى عليه[47] كما قام الولاة العثمانيون بالعديد من الإصلاحات والمشروعات الخدمية والعمرانية لكسب ود وتعاطف أهل اليمن ومحاولة اقناعهم بأنهم ليسوا غزاة بل هم حماة لبلادهم من الخطر البرتغالي.

– لم يتضح شكل الطراز العثمانى الوافد فى شكل تخطيط المساجد إلا فى نماذج قليلة وهذا بسبب انشغال العثمانيين بالحروب والصراعات فضلاً عن عدم الإستقرار السياسى حيث أن الطراز المعمارى المميز لأى عصر لابد له من وقت لكى تتضح معالمه، وهذا التمييز المصاحب لأى طراز لابد وأن ينشأ فى ظل استقرار سياسى يتيح للمعمارى الإبداع وقد عبّر

[47] الحداد، موسوعة العمارة الإسلامية،61.

ابن خلدون عن ذلك بقوله (إن فى رسوخ الصنائع فى الأمصار، إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها)[48].

– نظراً للخلاف السياسى والمذهبى بين العثمانيين والأئمة، ولذا حرص الزيدية على محو آثار العثمانيين وتعديل تخطيطات الكثير من المساجد التى شيدت خلال الوجود العثمانى ويتضح ذلك بوضوح فى مسجد أذدمر والذى يعرف بمسجد الزمر والذى عمّره الوزير أزدمر باشا فى النصف الثانى من القرن 10هـ/16م وجعله قبتين بينهما المنارة (شكل 5)، إلا أنه عندما جدده الإمام المنصور بالله على بن المهدى عباس فى سنة 1205هـ[49] فى فترة الإستقلال عن الحكم العثمانى قام بإستبدال القباب التي كانت تُغطي بيت الصلاة بسقف خشبى (شكل رقم 6) كما قام بتغيير اسم المسجد وسمّاه (مسجد الإيمان) وكأنه يريد أن يمحو من ذاكرة الأهالى حتى اسم المسجد غير أن الإسم القديم ظل هو المعروف ولم يعرف بالإسم الجديد، كما يرجح الباحث أن الزيادة التى أضافها الوزير حسن باشا على مسجد المدرسة كانت مغطاة بقباب[50] (شكل 22) إلا أنه نتيجة للخلاف السياسى بين العثمانيين والأئمة الزيدية تم إستبدال هذه القباب بسقف خشبى مسطح أثناء الزيادة التى قام بها الإمام المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن الإمام المهدى أحمد سنة 926هـ/1520م وهو الذى زاد فيه زيادة نافعة وعمّر منارته ومطاهيره وحفر بئره[51].(شكل 21)

8– الإختلاف الدينى والمذهبى

كان للإختلاف الدينى والمذهبى أثره على العمارة الإسلامية في صنعاء[52]حيث كان الأئمة الزيدية على المذهب الزيدى الشيعى الذى حاولوا بكل الطرق نشره فى بلاد اليمن، فى حين كان العثمانيين على المذهب السنى ولذلك قد حرص العثمانيين منذ أن وطئت أقدامهم اليمن على بناء المدارس وأوقفوا على بنائها الأوقاف الكثيرة حتى تقوم بدورها على الوجه الأكمل من نشر تعاليم الدين الصحيح ولتخريج فئة من العلماء على المذهب السنى وكان من أشهر هذه المدارس التى شيدوها مسجد ومدرسة المرادية (984–985هـ/1576–1577م) وكانت مُخصصة لتدريس

[48] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 93.

[49] الحجرى، مساجد صنعاء ، 16-17.

[50] يرجح أن سقف هذه الزيادة التى أضافها الوزير حسن باشا كان مُقبب نظراً لأن هذا هو الأسلوب المعماري الذي كان شائعاً ومُتبعاً وفي معظم العمائر التي شيدها حسن باشا كما في مسجد البكيرية وفي الزيادة التي أضافها لمسجد فروة بن مُسيك. الباحث .

[51] الحجري، مساجد صنعاء، 105 .

[52] عُرفت المذاهب الفقهية الإسلامية طريقها إلي اليمن في وقت مبكر، حيث كان المذهبان المالكي والحنفي هما السائدان في اليمن حتى أواخر ق3هـ/9م، أما المذهب الزيدي فقد انتشر في اليمن نهاية المائة الثالثة للهجرة علي يد الإمام الهادي يحيي بن الحسين الرسي، ثم حلّ المذهب الشافعي محل المذهب الحنفي بعد المائة الثالثة خاصة في مناطق اليمن الأسفل، فأصبح اليمن ينقسم إلي قسمين شيعة زيدية وسنية شافعيين، وساد المذهب الأول في المرتفعات والجبال وتركز حول مدينة صعدة، بينما ساد المذهب الثاني في الجهات المنخفضة أي في تهامة وتمركز حول زبيد وشبّ بين المذهبين حروب وصراعات، ومع أن المذهب السني تلقى عوناً خارجياً تمثل في سيطرة الأيوبيين السنيين علي اليمن ومن بعدهم العثمانيين الذين حاولوا علي نضر المذهب السني الحنفي للقضاء علي الزيدية وذلك عن طريق إنشاء المدارس الإسلامية، غير أن الإمامة لم تخضع ولم تلق سلاحها، ولم يكن خضوعها في فترات معينة طبيعياً أو سلمياً، لأنها لم تكن تلبث أن تشعل الحرب تلو الأخرى حتى انتهى الأمر بالقضاء التام على كل العوامل المناوئه لها وهذه النهاية هي التي وضع أساسها الإمام القاسم بن محمد والذي كان له دور خطيب في تاريخ اليمن. سيد، المذاهب الإسلامية، 85.

المذهب الحنفى وكذلك مسجد ومدرسة أزدمر بباب شعوب، ولعل أروع هذه المدارس مدرسة البكيرية سنة 1005هـ/ 1596م وكانت أيضًا مُخصصة لتدريس الفقه على المذهب الحنفى، وقد عرفت اليمن – كما سبق القول– بناء المدارس الإسلامية قبل الوجود العثماني بدءاً من العصر الأيوبى وانتشرت بكثرة فى عهد الرسوليين والطاهريين الذين كانوا على المذهب السنى، ومن أروع المدارس التى شيدوها المدرسة الأشرفية بتعز والمدرسة العامرية برداع .

وكان أيضاً من نتائج هذا الإختلاف الدينى والمذهبى أن قام الأئمة الزيدية بهدم كثير من القباب التى شيدها العثمانيين فى اليمن حيث ذكر الإمام الشوكانى أن الإمام المتوكل ووالده المنصور من قبله والشوكانى نفسه كانوا يتلقون رسائل من الأمير سعود للدعوة للتوحيد وهدم القبور المشيدة بالقباب المرتفعة وبالفعل قاموا بهدم الكثير من القباب المشيدة فى صنعاء وفى كثير من الأمكنة المجاورة لها وجهة زمار وما يتصل بها[53].

وكان من أثر الإختلاف المذهبي علي العمارة في صنعاء أن أضاف الأئمة الزيدية خلال فترة الإستقلال عن الحكم العثماني عقب خروج العثمانيين من اليمن سنة 1045هـ/1635م بعض العبارات والألفاظ الشيعية الدالة علي المذهب الزيدي الشيعي كعبارة (علي ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله)، فلم يترك الزيدية موضع في المساجد التي شيدها العثمانيون في صنعاء الإ وسجلوا عليه هذه العبارات الشيعية، وكان أكثر الأماكن التي حرصوا علي تسجيل هذه العبارات بها المحراب بإعتباره أكثر العناصر قدسية في المسجد ولمغزاه الديني لدى المصلين فهو يُشير إلي قِبلة المسلمين، وقد سُجلت هذه العبارات علي غالبية محاريب المساجد العثمانية في صنعاء ومن أروع أمثلتها ماسُجل علي محراب مسجد أزدمر والذي يمتاز بتسجيل عبارة جديدة تظهر لأول مرة في عبارات الزيدية بجانب الألفاظ الشائعة فجاء نص الكتابات التي تعلو فتحة عقد هذا المحراب (لاإله إلا الله محمد حبيب الله علي ولي الله فاطمة أمة الله الحسن والحسين صفوة الله) ثم عبارة (علي باغضهما لعنة الله) ويُعتبر هذا المحراب هو المثال الوحيد الذي سُجل عليه هذه العبارة الأخيرة . (شكل 7، 8)

9- العامل البشري

ويُقصد به التجديدات التي قام بها الأهالي من فاعلي الخير من أهل صنعاء والذي يُعرفون بـ(المحسنين)، حيث نُلاحظ أن العمائر الدينية اليمنية بصفة عامة مرت بالكثير من التجديدات والإضافات التي أضيفت عليها علي مر العصور، وقد جاءت كثير من هذه التجديدات علي

[53] العمري، مائة عامة، 175 .

غير الأصول المعمارية والزخرفية الأصلية التي كانت عليها مما أفقدها كثيراً من طابعها الأصلي، حيث يبدو الإرتباك الواضح في عمارتها نتيجة لهذه التجديدات مما يُشكل صعوبة كبيرة في بعض الأحيان في دراستها وإرجاع الأجزاء المعمارية والزخرفية بها إلي أصولها الأولى[54] .

وقد نالت المساجد العثمانية في صنعاء كغيرها من المنشآت الدينية اهتمام فاعلي الخير الذين قاموا بتجديد المتهدم منها وتوسيعه، غير أنه قد جاء هذا التجديد علي غير ماكانت عليه هذه المساجد وقت إنشائها، ومن أمثلة المساجد التي جددها المحسنون في صنعاء مسجد غزل باشا[55] الذي يُنسب إلي الأمير محمد قزل باشا وكان قد جدده الأمير المجزبي في القرن الحادي عشر[56]، إلا أن المسجد قد هدم في العصر الحديث في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي وحلّ محله مسجد جديد علي يد فاعلي الخير من أهل الحي مختلف تماماً عما كان عليه المسجد القديم، وأيضاً مسجد الإبزر الذي تهدم وحل محله مسجد جديد يحمل نفس الإسم فقط أما تخطيطه فيختلف أيضاً عن المسجد الأصلي، وكذلك مسجد الباشا[57] والذي يُعرف الآن بمسجد القاضي الحيمي الذي جدد عمارته وقام بتوسعته القاضي الحيمي حيث أضاف مسجد جديد مستقل بذاته في بداية ق12هـ/18م .

10- التأثيرات المحلية

لاشك أن العمارة الإسلامية في اليمن قد تأثرت بصورة مباشرة وغير مباشرة بما حولها وبما هو موجود وقائم[58]، العمارة اليمينة القديمة والتي بلغت حداً من التطور والإزدهار واستطاعت عبر

---

[54] شيحه، مدخل إلى العمارة والفنون، 22.

[55] هو من المساجد العامرة شرقي مسجد الفليحي على طريق مسجد أزدمر ويلاحظ مدى التقارب المكاني بينه وبين مسجد أزدمر ولهذا المسجد مقشامة كبيرة يطل عليها أيضاً مسجد أزدمر بدوره، عمّر هذا المسجد محمد قزل باشا ويبدو أن اسم المسجد حرف من مسجد قزل باشا إلى مسجد غزل الباشا للتخفيف نسبة إلي بانيه محمد قزل باشا، وهو الأمير محمد بن حسن أحد أمراء العثمانيين في اليمن، عُرف قزلباش أي "ذي الراس الأحمر" قزل باش كلمتان تركيتان، قزل تعني الأحمر وباش تعني رأس، وقد تولى حفظ صنعاء حيث عزل رضوان باشا، ووقع في أسر الإمام المطهر سنة 974هـ/1566م، وبقى سجينًا لديه مع مجموعة من الأمراء العثمانيين إلى أن أطلق سراحه سنة 977هـ/1569م، وكان نائبًا على صنعاء في عهد الباشا محمود العثمانيين، وجدد هذا المسجد الأمير المجزبي في القرن الحادي عشر، وقد هُدم في العصر الحديث في نهاية الثمانينات وحل محله مسجد جديد ولكن على النسق القديم ولم يعرف من الذين شيد هذا المسجد الجديد سوى أنه أحد فاعلي الخير أهل هذا الحي والمسجد ليس له مئذنة. الحجري، مساجد صنعاء، 95، يسر، الموروث الحضاري، هامش319، ابن لطف الله، روح الروح، 211، ابن علي، غاية الأماني، 720، الثور، الولاة العثمانيون، 130، زناتي، معجم مصطلحات التاريخ ، 315.

[56] الحجري، مساجد صنعاء، 95 .

[57] هو من المساجد العامرة في الجهة الجنوبية الشرقية عدنى – جنوب – الطريق النافذة من باب اليمن إلى قصر السلاح، فهو قريب من ميدان القصر، وتُعرف الحارة الموجود بها هذا المسجد باسم حارة الباشا، والتي يظهر من اسمها أنها سُميت بهذا الاسم بعد دخول العثمانيين إلى صنعاء وهي تقع جنوب شرق صنعاء بجوار قلعة القصر من الناحية الجنوبية الغربية، وقد أنشأه الوزير محمد باشا في أول القرن الحادي عشر وهو الذي عمّر مسجد طلحة، ويُعرف هذا المسجد باسم مسجد الحيمي ؛ حيث يذكر بعض المؤرخين قيام القاضي حسين الحيمي بتجديده في أوائل القرن الثاني عشر وقد سجل ذلك أعلى المدخل الجنوبي للمسجد، في حين يرى البعض أن مسجد الباشا هو مسجد صغير مازال قائما علي حاله وقام القاضي الحيمي بتشييد مسجده بجواره في بداية من 12هـ/18م ولذلك غلب على مسجد الحيمي اسم مسجد الباشا وعُرف بين أهل صنعاء بهذا الاسم، في حين أصبح مسجد الباشا القديم بمثابة حلقة لتحفيظ القرآن الكريم. الحجري، مساجد صنعاء، 53، غيلان حمود غيلان، محاريب صنعاء، هامش 127.

[58] شهدت العمارة اليمنية بصفة عامة تأثيرات فنية مختلفة نابعة عن العلاقات السياسية والإقتصادية لبلاد اليمن، فقد ارتبطت اليمن بحكم موقعها الجغرفي الفريد وعلاقتها مع بقية العامل الإسلامي، وقد لعب ذلك الموقع دوراً هاماً في التأثير على الأشكال المعمارية المختلفة للمباني الإسلامية، فقد ارتبطت اليمن بعلاقات مع الدولة العباسية وارتبطت مع الدول التي قامت في مصر والشام مثل الدولة الفاطمية والأيوبية والمملوكية والحكم العثماني في مصر، فضلاً عن علاقات اليمن مع الصين وبلاد الهند وهو أمر فرضه الموقع الجغرافي

سنوات طويلة أن تقاوم العديد من عوامل التعرية والتضاريس وتقلبات الجو، بالإضافة إلي أن العمارة اليمنية القديمة تمتلك مقومات ومؤهلات جمالية عالية في النقاء؛ فقد تميزت بلاد اليمن بالعمق الثقافي والموروث الحضاري فبها أقدم الحضارات وأعرقها، ولذا كان من الطبيعي أن تتأثر العمارة الإسلامية في العصر العثماني بهذه العمارة وتحاول تقليدها والإقتباس منها والإستفادة من تقنياتها العالية وذلك بحكم التأثير والتأثر بين الحضارات والفنون المختلفة[59]، وقد تمثل التأثير المحلي علي العمارة الإسلامية خلال العصر العثماني في العناصر التالية:

– إعادة استخدام ماتبقى من مواد البناء التي سبق استخدامها في تشييد العمائر القديمة كالألواح الخشبية والقطع الحجرية والرخامية والأعمدة والدعامات والألواح الحجرية التي تحمل نصوصاً تذكارية أو أشكالاً زخرفية والألواح والقطع المعدنية، وقد استخدمت العديد من هذه العناصر في المساجد التي شيدها الولاة العثمانيون في صنعاء كما في مسجد أزدمر والطواشي والمذهب وغيرها .

– تأثرت العمارة في صنعاء إلي حد كبير بنوعية المواد الطبيعية التي تزخر بها جيولوجية أرض اليمن خاصة الأحجار والآجر والجص، فقد اشتهرت بلاد اليمن بجبالها وتضاريسها الجبلية العالية، فقد انتشر استخدام الأحجار وكان من أشهر أنواع هذه الأحجار الذي امتازت به اليمن عن غيرها لأحجار الحبش السوداء والتي استخدمت في بناء أساسات جدران معظم المساجد العثمانية في صنعاء، كما استخدمت في رصف أرضية أصواح هذه المساجد، وكذلك اشتهرت اليمن بصناعة الآجر وهو اللبن المحروق والذي استخدم في بناء باقي الجدران العلوية والقباب والمآذن لما يمتاز به من خفة الوزن، كما استخدمت مادة الجص بكثرة في كسوة الجدران وفي تنفيذ معظم الزخارف، كما استخدمت مادة القضاض والتي تُعتبر تقنية بناء أكثر منها مادة، وتُعد ابتكار يمني لم تظهر الإ في بلاد اليمن، وقد كانت مُستخدمة بكثرة في العمارة اليمينة القديمة فقد استخدمت في سد مأرب حيث طُليت بها جدران السد لضمان تماسكه وعدم تسرب المياه منه لما تتميز به هذه المادة من قوة عزلها للأسطح وقدرتها علي عدم تسرب المياه، كما استخدمت في سد الجنينة بالقرب من سد مأرب، واستخدمت كذلك في كسوة الجدران الداخلية للقبر الملكي في شبوه، وفي الجدران الداخلية لقبور مدينة غيمان[60] واستمر استخدام هذه المادة خلال العصور الإسلامية حتي العصر العثماني إلي أن استبدلت بمادة الأسمنت الحديثة، فقد استخدمت في

والمصالح الإقتصادية، فضلاً عن التأثير المغربي والأندلسي والذي كان له أثره الواضح علي شكل المآذن اليمنية. حسين، المآذن اليمنية ،61.

[59] اسماعيل، الأبعاد الجمالية، 259 .

[60] البهنسي، استمرارية بعض الأساليب المعمارية، 310-311 .

معظم مساجد صنعاء العثمانية خاصة في كسوة أسطح القباب من الخارج وفي كسوة جدران المطاهير وبرك المياه، وكذلك في رصف قنوات تصريف المياه علي الجدران لحمايتها من التشقق والتصدع كما في جدران صوح مسجد طلحة.**(لوحة رقم 65)**

– احتفظت المساجد التي شُيدت خلال الوجود العثماني بصنعاء بنفس الأساليب اليمنية المحلية، كما احتفظت بنفس طرز تخطيط المساجد التي كانت سائدة في بلاد اليمن قبل الوجود العثماني، فكانت معظم المساجد تتكون من قسمين الأول وهو بيت الصلاة والقسم الثاني وهو الصحن، وقد جاءت المساجد التي شُيدت وفق الطراز العثماني الوافد في صنعاء في شكلها العام متأثرة بالطراز التركي، بينما جاءت في مضمونها وزخارفها وفق الأساليب اليمنية القديمة.

– استخدمت طرق وأساليب البناء والزخرفة القديمة، وجاءت مهارة البنّاء اليمني في محاولة التوفيق بين التقاليد المعمارية القديمة والإسلامية في عمليتي البناء والزخرفة والأمثلة علي ذلك كثيرة منها استخدام اسلوب المشهر[61] في الأحجار مستغلين التفاوت اللوني بين ألوان الأحجار المختلفة لإحداث التأثير اللوني الرائع، وقد كان هذا الأسلوب منتشراً في بلاد اليمن في العصور القديمة وخير مثال علي ذلك ماذكرته المصادر التاريخية عن قصر غمدان واستخدام الأبلق في جدرانه مما يؤكد علي استمرارية أساليب البناء والزخرفة القديمة، ومن ضمن الأساليب والعناصر الزخرفية القديمة التي انتشرت في مساجد صنعاء خلال الفترة العثمانية الزخرفة القالبية بواسطة قوالب الآجر **(شكل 29)**، والتي ظهرت بكثرة في الأحزمة – الأشرطة– التي تتوج نهايات الجدران وكذلك تزخرف أبدان بعض المآذن، وتأخذ أشكالاً هندسية جميلة ومثال ذلك كما في مسجد أذدمر حيث تزخرف نهايات جدران الواجهة الشرقية، وتزخرف مئذنة مسجد البكيرية ومسجد الطواشي وطلحة.

– كما استخدمت الزخارف المجدولة بكثرة وخاصة في زخرفة أبدان المآذن، وقد كانت هذه الزخرفة منتشرة بكثرة في بلاد اليمن قديماً كما في أعمدة معبد عثتر بمدينة السوداء ويرجع هذا المعبد إلي القرن الخامس قبل الميلادي، كما استخدمت الزخرفة الزجزاجية بكثرة في تزيين المساجد العثمانية بصنعاء، وترجع أصولها إلى العمارة اليمنية القديمة حيث شوهدت كذلك تُزخرف أعمدة معبد عثتر السابق ذكره[62] .

– احتفظت بعض العناصر والوحدات المعمارية في المساجد العثمانية بصنعاء بطرازها المحلي وخير مثال على ذلك عنصر المئذنة، حيث تتميز بلاد اليمن وتنفرد دون سائر الجزيرة العربية

[61] تُعرف طريقة المشهر بأنها عبارة عن مداميك حجرية في الأبنية الأتربة الإسلامة نظمها المعمار بشكل تتناوب فيه هذه المداميك لونين متبادلين هما الأبيض والأحمر الطوبي غالباً أو الأبيض والأصفر وجاء ذلك نتيجة لعبقرية الفنان المسلم من الاستفادة من الألوان الطبيعية للحجر في إبراز جمال المبنى عن طريق البناء بهذه الطريقة. رزق، معجم مصطلحات العمارة، 77، أمين، ليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية، 330.

[62] سيف، مآذن مدينة صنعاء، 169 .

بمحافظتها علي شكل المآذن لطابعها اليمني المُميز لها في جميع حلقات تطور عمارة المئذنة فيها، وتتجلى هذه المحافظة في مجموعة المآذن اليمنية التي شُيدت خلال الفترة العثمانية بصنعاء والتي ضعف فيها التأثير العثماني أمام قوة الطابع اليمني المحلي المُميز للمآذن اليمنية، ولم يظهر الشكل الذي اشتهرت به مآذن الدولة العثمانية والتي اتخذت النهاية المدببة فيما يُعرف بطراز (سن القلم الرصاص)[63]، وإن ظهرت هذه النهاية المدببة في جواسق المنابر كما في المنبر الرخامي لمسجد البكيرية، والمنبر الرخامي لمسجد العُرضي.

النتائج :

أثبتت الدراسة أن هناك عدد من العوامل التي أثرت على عمارة المساجد في صنعاء خلال العصر العثماني وهي:

– الموقع والمساحة المتاحة أثرت في شكل المساجد تأثيراً كبيراً ، فقد تحكمت المساحة المتاحة مع الموقع في شكل هذه المساجد وتوزيع الوحدات والعناصر بها، كما تضح عبقرية المعمار اليمني وخبرته ومهارته وأثر ذلك في إخراج المساجد بالصورة الرائعة.

– كان العوامل المناخية أثرها الواضح في تشكيل وبناء المساجد، فحرصوا علي استخدام مواد بناء تقاوم الحرارة كالآجر واستخدموا مواد تمنع تسرب المياة وتقوم بعزل الأسطح كمادة القضاض، في حين لجأ المعمار إلي تغطية بيت الصلاه في أغلب الأحوال وزيادة المساحات المسقوفة للوقاية من أشعة الشمس ومن الأمطار.

– رغبة المنشئ وامكانياته تحكمت في شكل المساجد حيث حرص عدد كبير من الولاة العثمانيين في اليمن علي تخليد ذكراهم بإنشاء المساجد ، كما كانت رغبة المنشئ في أن تقوم هذه المساجد بدور المدارس الإسلامية لنشر المذهب السني ومحاربة المذهب الزيدي الشيعي ، وتتضح إمكانيات المنشئين في ماقام به السلطان عبد الحميد الثاني من تجديده لمسجد البكيرية بالصورة الرائعة التي أصبح عليه، وكذلك بنائه مسجد العرضي داخل مجمع العرضي الحربي.

– الإحتلاف السياسي والديني والمذهبي بين العثمانيين والزيديين أثره الواضح علي عمارة المساجد العثمانية بصنعاء، فقام الزيدية أثناء فترة الاستقلال عن الوجود العثماني 1045–1289هـ بتجديد عدد من المساجد التي شيدها العثمانيون وحاولوا إخفاء طرازها المعماري،

[63] عرفت النهاية المدببة لقمم المنابر والمآذن العثمانية في المصطلح الوثائقي باسم (جربوش) فقد جاء في حجة وقف مسجد سنان باشا ببولاق بالقاهرة رقم 2869 أوقاف مانصه (يعلو رأس المنار جربوشيا خشب مغلف بالرصاص بهلال نحاسي مطلي بالذهب)، وجربوش كلمة فارسية بمعني غطاء الرأس ثم حُرفت بعد ذلك الي طربوش وقد أطلقها السوريون علي القمة المخروطية التي تُشبه سن القلم الرصاص، وربما كان سبب هذه التسميه حيث اشتُق هذا المصطلح من شكل لباس رأس الدراويش الذي يُشبه الطرطور والذي كانت ترتديه أفراد تلك الفئه الذين وصلوا في العصر العثماني إلي مركز من مراكز القوي التي كان لها خطرها في الدولة. أبوبكر، المنابر في مصر، 194 - هامش 561

ووصل الأمر أحياناً إلي تغيير أسمائها وخير مثال علي ذلك مسجد أزدمر ، كما قاموا بإضافة الألفاظ والعبارات الشيعية علي تلك المساجد ، وقاموا بهدم العديد من المساجد والقباب العثمانية.

– أثرت في المساجد خلال الوجود العثماني بصنعاء عدد من التأثيرات المحلية نظراً لما تمتاز به بلاد اليمن عامة بعمق تراثها الثقافي وموروثها الحضاري وتمثل ذلك في إستمرار نفس الأساليب البنائية القديمة واستخدام مواد من عمائر قديمة كالأعمدة وغيرها.

المصادر والمراجع

- أباظه (فاروق عثمان)، الحكم العثماني في اليمن 1872-1918م، (بيروت: دار العودة، ط1979،2م.
- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن جابر المقري ت 808ه/1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المقدمة، (الأسكندرية: دار ابن خلدون،1997م).
- ابن علي (يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ت 1100ه)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعه والنشر بالقاهرة، 1968م).
- ابن القاسم (يحي بن الحسين 1046 – 1099ه)، يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر، تحقيق عبد الله الحبشي (الإمارات: منشورات المجمع الثقافي، ط1، 1996م).
- ابن القاسم (جمال الدين علي بن عبد الله القاسم توفي بعد سنة 1176هـ/1763م)، وصف صنعاء مستل من المنشورات الجلية، تحقيق، عبد الله محمد الحبشي(صنعاء: المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، ط1، 1993م).
- ابن لطف الله (عيسى ت1048ه)، روح الروح في ما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق ابراهيم المقحفي (صنعاء: مركز عبادي للطباعه والنشر، ط1، 2003م).
- أبو الفتوح (محمد سيف النصر)، نظرة عامة على المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية، مجلة الاكليل، وزارة الإعلام والثقافة، العدد الاول، (صنعاء: السنة الثالثة 1985م)، 98-142.
- أبوبكر (نعمت)، المنابر في مصر في العصرين المملوكي والتركي، (رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1985م).
- الإرياني (مطهر)، القضاض، الموسوعة اليمنية، المجلد الثاني، مؤسسة العفيف(صنعاء، ط1، 1992م).
- اسماعيل (عبد الرحمن سيف)، الأبعاد الجمالية للفن الإسلامي، (صنعاء: الهيئة العامة للكتاب، ط1، 2010م).
- الأكوع (إسماعيل بن علي)، المدارس الإسلامية في اليمن(صنعاء: منشورات جامعة صنعاء، دمشق: دار الفكر، 1980م).
- أمين (محمد محمد)، إبراهيم(ليلى علي) ، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، (548– 923هـ/1259– 1517م)، (القاهرة: دار النشر بالجامعة الأمريكية، ط1، 1990م).
- الآنسي الصنعاني (عبدالملك بن حسين)، اتحاف ذوي الفطن بمختصر أنباء الزمن، تحقيق اسماعيل بن أحمد الجرافي(صنعاء: ملحق العدد الثالث من مجلة كلية الآداب، منشورات جامعة صنعاء، مارس 1981م).
- الباشا (حسن)، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ج3 (القاهرة: أوراق شرقية، 1999م).
- البهنسي (صلاح أحمد)، استمرارية بعض الأساليب المعمارية والفنية القديمة في العمارة الإسلامية، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية، الكتاب التذكاري، الكتاب الأول، ج1، العمارة، (الأسكندرية: دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2008م).
- بهنسي (عفيف)، الجامع الكبير بصنعاء (باريس: منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم، اليونسكو، ط1، 1988م).
- الثور (أمة الملك إسماعيل قاسم)، الولاة العثمانيون وأبرز أعمالهم الإنشائية في فترتي الحكم العثماني الأولى والثانية لليمن (945-1045ه/1538-1635م، 1289-1336ه/1872-1918م)، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 22، (الرياض، 2010م).
- الحاضري (أحمد محمد علي)، فن وهندسة البناء الصنعاني(صنعاء: الهيئة العامة للكتاب، ط1، 2006م).
- الحجري (محمد بن أحمد)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، المجلد الأول، تحقيق اسماعيل بن علي الأكوع (صنعاء: دار الحكمة اليمانية، ط1، 1996م).
- الحجري (محمد بن أحمد)، مساجد صنعاء وعامرها وموفيها (صنعاء: إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، 2004م).
- الحداد (محمد حمزه)، موسوعة العمارة الإسلامية من الفتح العثماني حتي عصر محمد علي، ج1 المدخل،(القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2006م).
- حرب (محمد)، العثمانيون في التاريخ والحضارة، سلسلة دراسات عثمانية(1)، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي(القاهرة، 1994م).
- حسين (محمود إبراهيم)، المآذن اليمنية دراسة فنية أثرية، (القاهرة، دار الثقافة العربية، 1999م).
- خليفة (ربيع حامد)، مساجد مدينة صنعاء فترة الوجود العثماني الأول1538-1635ه (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق،1989م).
- خليفة (ربيع حامد)، البكيرية المسجد والمدرسة، مجلة الإكليل، العدد الأول، السنة الخامسة(صنعاء، 1407هـ/1987م).
- خليفة (ربيع حامد)، الأعمال المعمارية لحسن باشا الوزير في اليمن من واقع مخطوط (الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية)، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، عدد12، (صنعاء،1991م)، 169-209.
- خليفة (ربيع حامد)، دراسات حول الزخارف الجصية والرخامية اليمنية في العصر الإسلامي، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، المجلد الأول، عدد2،(المنيا، 1991م).
- الدميني (عبد الحق محمد غالب، غسان حلبونى)، أثر العوامل المناخية فى تشكيل العمارة التقليدية فى مدينة صنعاء اليمن، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد السادس والعشرون، عدد أول،(دمشق،2010م)،227-240.
- الراشد (عبد الله إبراهيم)، المنشآت المعمارية الرسولية في اليمن،(رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، 1992م).
- رزق (عاصم محمد)، معجم مصطلحات العمارة والفنون (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 2000م).
- زناتي (أنور محمد)، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، (القاهرة: دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، 2011م).
- سيد (أيمن فؤاد) ، المذاهب الإسلامية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1988م).

- سالم (سيد مصطفى)، الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635ه (القاهرة: دار الأمين للطباعة والنشر، ط5، 1999م).
- سيف (على سعيد)، مآذن مدينة صنعاء حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي (دراسة أثرية معمارية) (صنعاء: إصدارات وزراة الثقافة والسياحة، 2004م).
- شيحه (مصطفي عبد الله)، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية، (القاهرة، وكالة اسكرين، ط1، 1987م).
- الشهاري (جمال الدين علي بن عبد الله القاسم توفي بعد سنة 1176هـ/1763م)، وصف صنعاء مستل من المنشورات الجلية، تحقيق، عبد الله محمد الحبشي،(صنعاء، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، ط1، 1993م).
- عثمان (محمد عبد الستار)، المدينة الإسلامية (الكويت: مجلة عالم المعرفة عدد128، 1988).
- عثمان (محمد عبد الستار)، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة، (الأسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000م).
- العرشي (حسين بن أحمد ت 1329ه/1911م)، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولي ملك اليمن من ملك وإمام، تحقيق الأب أنستاس ماري الكرملي (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت).
- العُرضي عمارة اسلامية حربية دلالات تاريخية وفنون العمارة الحربية في اليمن (1289-1336ه/1872-1918م)، (صنعاء: المركز العسكري للوثائق دائرة التوجيه المعنوي، د.ت).
- العروسي (محمد علي)، العمارة اليمنية في العصر الإسلامي، مجلة الإكليل، وزارة الثقافة، العدد 27(صنعاء، 2002م)،65-79 .
- عزب (خالد)، الحجر والصولجان (القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، 2012م).
- العظم (نزيه مؤيد)، رحلة الي بلاد العربية الحديثة، (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1938م).
- علاوي (نسيبة عبد العزيز الحاج)، المعمار العثماني سنان(1489-1588م)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 17، العدد 2،(العراق، 2010م).
- العلفي (محمد بن محمد)، خصائص العمارة اليمنية أشكالها واتجاهات تطورها (صنعاء: إصدارات وزراة الثقافة والسياحة، 2004م).
- العمري(حسين عبد الله)، مائة عامة من تاريخ اليمن (1161-1264ه/1738-1848م)، المطبعة العلمية، دمشق، ط1، 1984م .
- العمري (حسين عبدالله)، العرضي، الموسوعة اليمنية، ج3 (صنعاء: مؤسسة العفيف الثقافية، ط2، 2004م).
- غيلان (حمود غيلان)، محاريب صنعاء حتي أواخر القرن 12ه/ 18م،(صنعاء: إصدارات وزراة الثقافة والسياحة، 2004).
- مانزوني (رينزو)، اليمن رحلة إلي صنعاء (1877-1878م)، ترجمة، ماسيمو خيرالله (صنعاء: وحدة التراث الثقافي، الصندوق الإجتماعي للتنمية، ط1، مارس 2011م).
- محمد (غازي رجب)، الجامع الكبير بصنعاء دراسة تاريخية أثرية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد، العدد 28 (بغداد، 1980م).
- محمد (غازي رجب)، من روائع العمارة الإسلامية في اليمن القبة البكيرية في صنعاء، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد28 (بغداد،1981م)، 456-486.
- المرشد التاريخي للعُرضي، دائرة التوجيه المعنوي (صنعاء: المركز العسكري للوثائق، ط2، 2011).
- مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية Cpas، تطور العمارة اليمنة عبر العصور المختلفة، القاهرة (د.م، د.ت).
- المروني (عبدالملك) ، الوجيز في تاريخ بناية مساجد صنعاء القديم والجديد (اليمن: مطابع اليمن العصرية، ط1، 1988م).
- المصري (أحمد صالح)، موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين الحكم العثماني بين مؤيد ومعارض (رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، 2006م).
- المطاع (إبراهيم أحمد)، المدرسة المنصورية في جبن باليمن باليمن، دراسة أثرية حضارية (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1994م).
- منظمة العواصم والمدن الإسلامية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة (دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء) (صنعاء: مركز الطاهر للاستشارات الهندسيه، 2005م).
- النبراوي(رأفت محمد)، عنب (محمد أحمد عبد الرحمن)، مسجد المرادية بصنعاء984ه/1576م دراسة آثارية معمارية (طنطا: ملحق مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، عدد26، يناير 2013م)،1-30.
- يسر (محمد بن عبدالعزيز سعد)، الموروث الحضاري لصنعاء القديمة (اليمن: إصدارات جامعة صنعاء، 2004م).
-Lewcock (Renold), The walled city of Sana'a , Uensco,1987.
-Serjeant and Lewcock, Sana'a Arabian Islamic city, London, world of Islam Festival trust press 1983.

فهرس الأشكال

(شكل 1) خريطة توضح توزيع مساجد صنعاء القديمة. عن، غيلان، محاريب صنعاء، شكل (1).
(شكل 2) مخطط يوضح التوزيع المحوري لمساجد القبة في صنعاء القديمة. عن، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص331.
(شكل 3) شكل كروكي يوضح التكوين العام لحارة طلحة ومركزية موقع مسجد طلحة بالنسبة لباقي مباني الحارة. نقلاً عن، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص159.
(شكل 4) العلاقات الوظيفية للحارة السكنية في صنعاء وأثر الموقع في توزيع العمائر المختلفة ومركزية موقع المسجد. نقلاً عن، منظمة العواصم والمدن الإسلامية ، ص331.
(شكل 5) تصور لمخطط لمسجد أزدمر قبل تعديلة – عمل الباحث.
(شكل 6) المسقط الأفقي الحالي لمسجد أزدمر بصنعاء. نقلاً عن، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص331.
(شكل 7) محراب مسجد أزدمر – تصوير الباحث .
(شكل 8) تفريغ للكتابات الشيعية أعلي عقد محراب مسجد أزدمر – عمل الباحث .
(شكل 9) المسقط الأفقي لمسجد البكيرية بصنعاء. نقلاً عن، منظمة العواصم الإسلامية، ص32.
(شكل 10) منظور تحليلي لمكونات مسجد البكيرية يوضح أثر الموقع والمساحة المتاحة في توزيع العناصر والوحدات المعمارية. نقلاً عن ، منظمة العواصم الإسلامية، ص325.
(شكل 11) منظر عام لمسجد البكيرية من الخارج – تصوير الباحث.
(شكل 12) كتلة المدخل البارزة لمسجد البكيرية وتوجد تتوسط الجدار الغربي – تصوير الباحث
(شكل 13) المسقط الأفقي لمسجد طلحة موضح عليه مكونات المسجد بالألوان ، ويتضح حسن توزيع عناصر ووحدات المسجد . نقلاً عن، منظمة العواصم الإسلامية، أسس التصميم المعماري، ص341.
(شكل 14) منظر عام من أعلى لمسجد طلحة بصنعاء ، يوضح مكونات المسجد .
(شكل 15) الواجهة الشمالية لمسجد طلحة ويوجد كتلة السبيل في طرفها الغربي – تصوير الباحث.
(شكل 16) مسجد طلحة بصنعاء، أحد قنوات تصريف المياة المكسية بالقضاض في جدران صحن المسجد، تصوير الباحث
(شكل 17) المسقط الأفقي لمسجد جناح والمذهب بسوق الملح بصنعاء. عن: غيلان، محاريب صنعاء، شكل 73، ص 271.
(شكل 18) مئذنة مسجد جناح والمذهب والتي تقع علي طرف الممر الذي يفصل بينهما – تصوير الباحث
(شكل 19) مسجد جناح والمذهب ، قطاع رأسي لكتلة المئذنة. عن: سيف، مآذن مدينة صنعاء. شكل 13
(شكل 20) مسجد المرادية بقصر السلاح ، المئذنة – تصوير الباحث .
(شكل 21) المسقط الأفقي لمسجد المدرسة بصنعاء.
Serjeant and Lewcock, Sana'a Arabian Islamic city, p360
(شكل 22) تفاصيل من المسقط الأفقي لمسجد المدرسة يوضح تصور لما كانت عليه الزيادة التي أضافها الوزير حسن باشا قبل تعديلها والمدخل البارز – عمل الباحث
(شكل 23) مسجد المدرسة، المدخل البارز الذي أضافه الوزير حسن باشا – تصوير الباحث .
(شكل 24) مسجد المدرسة ، تفريغ لشكل المدخل التذكاري الذي أضافه حسن باشا والقبة التي تعلوه – عمل الباحث
(شكل 25) المسقط الأفقي للجامع الكبير بصنعاء. نقلاً عن، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص303 .
(شكل 26) الجامع الكبير بصنعاء، قبة الزيت التي أضافها الوزير سنان باشا أثناء تجديده لصحن المسجد. تصوير الباحث.
(شكل 27) المسقط الأفقي لمسجد فروة بن مسيك يوضح مراحل الإنشاء، والزيادة التي أضافها الوزير حسن باشا موضحة باللون الأزرق. نقلاً عن، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص255 .
(شكل 28) منظر عام لمسجد العرضي بصنعاء، يوضح مكونات المسجد وأثر الموقع والمساحة المتاحة علي شكل المسجد وملحقاته.
(شكل 29) نماذج مختلفة للأحزمة والأشرطة وقوامها الزخرفة القالبية من الطوب الآجر التي تزخرف نهايات الجدران، وتزخرف أبدان المآذن. نقلاً عن، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص535.

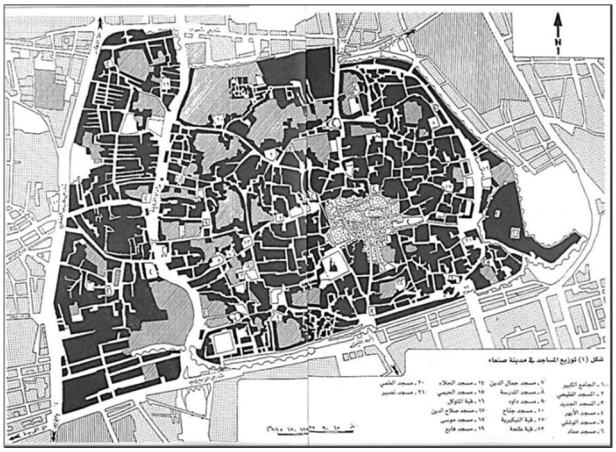

(شكل 1)

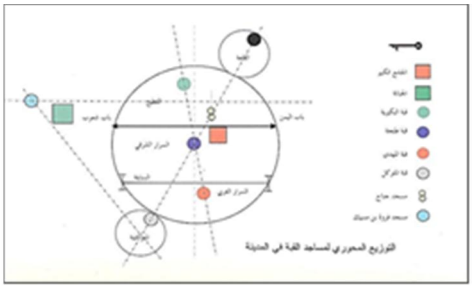

(شكل 2)

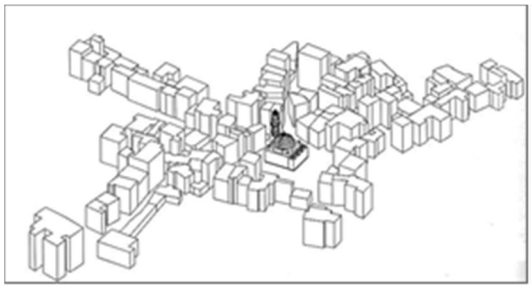

(شكل 3)

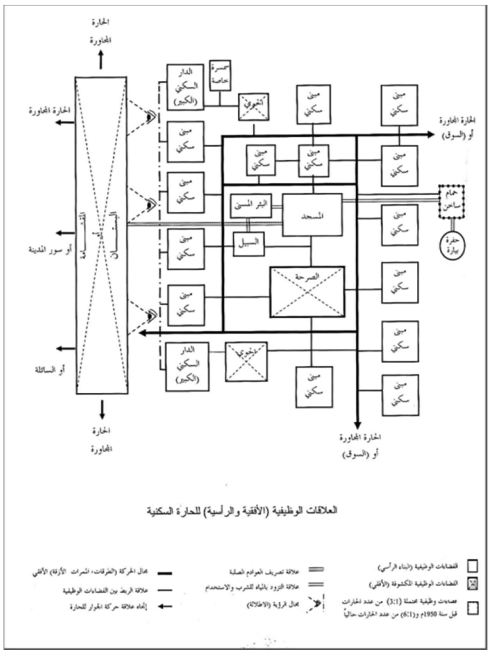

(شكل 4)

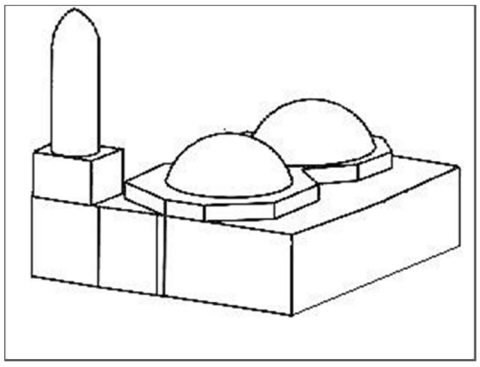

(شكل 5)

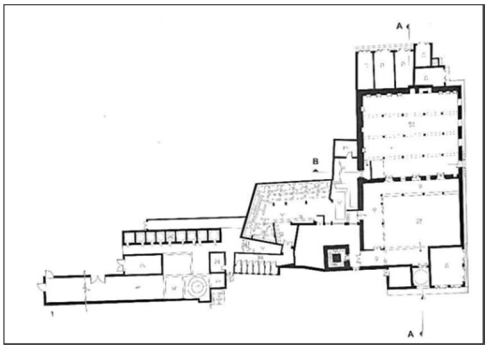

(شكل 6)

(شكل 7)

(شكل 8)

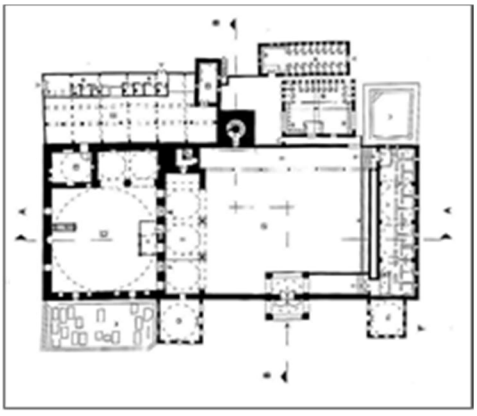

(شكل 9)

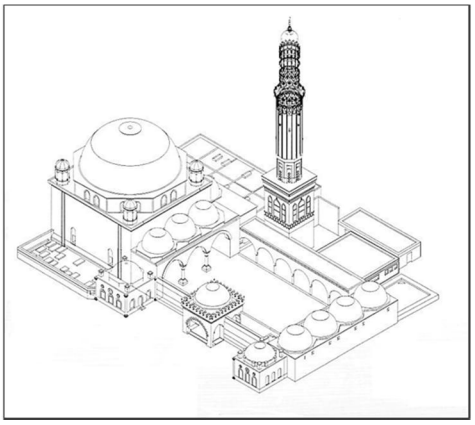

(شكل 10)

(شكل 11)

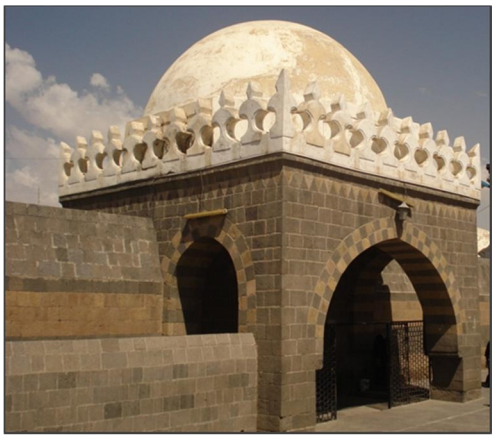

(شكل 12)

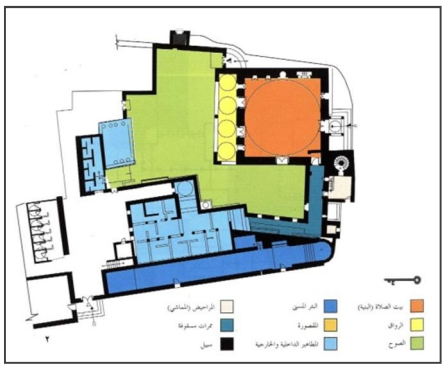

(شكل 13)

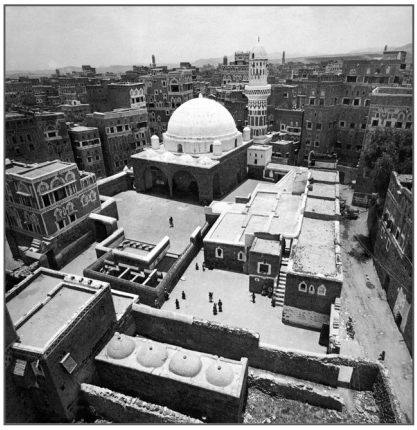

(شكل 14)

(شكل 15)

(شكل 16)

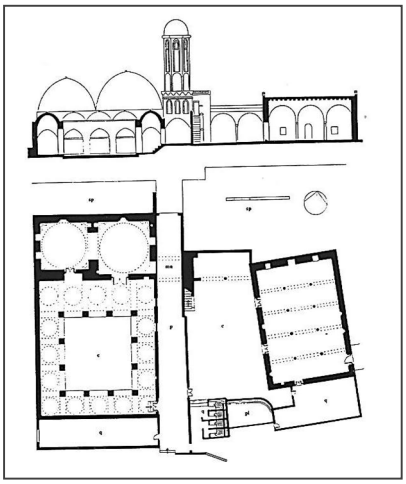

(شكل 17)

(شكل 18)

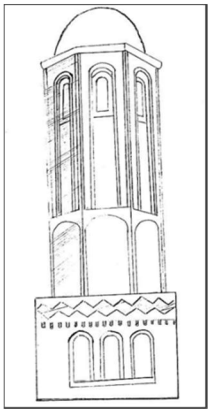

(شكل 19)

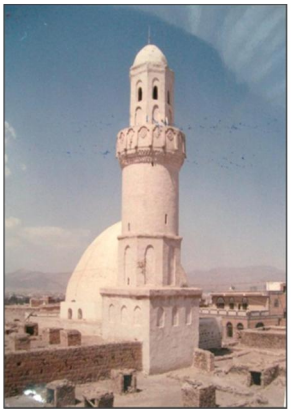

(شكل 20)

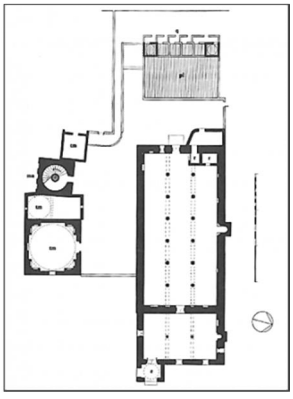

(شكل 21)

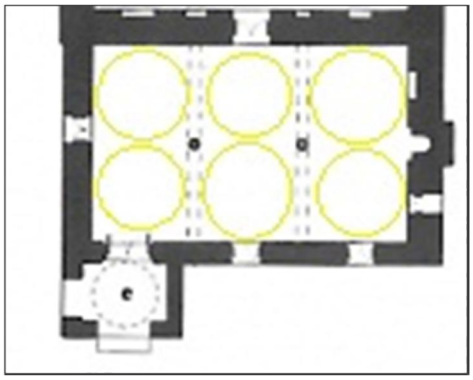

(شكل 22)

(شكل 23)

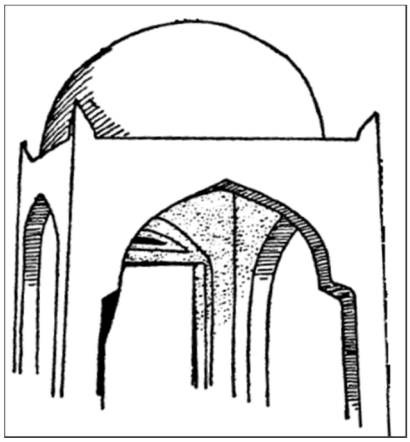

(شكل 24)

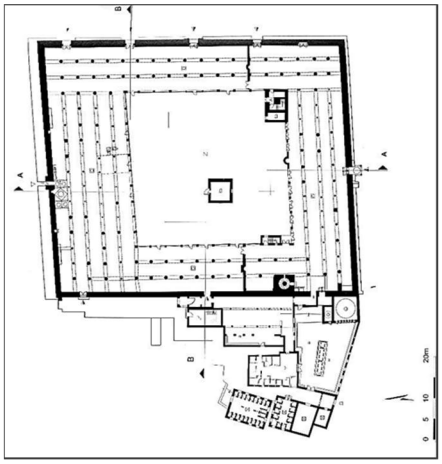

(شكل 25)

(شكل 26)

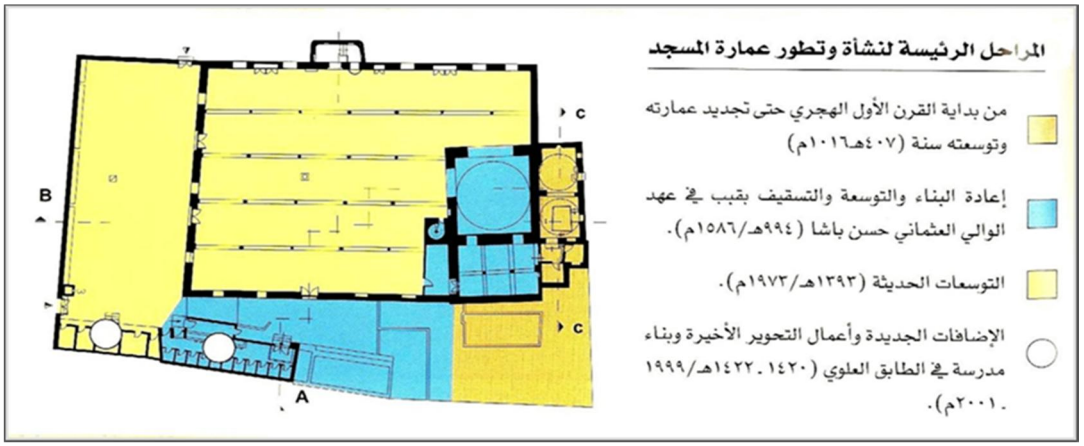

(شكل 27)

(شكل 28)

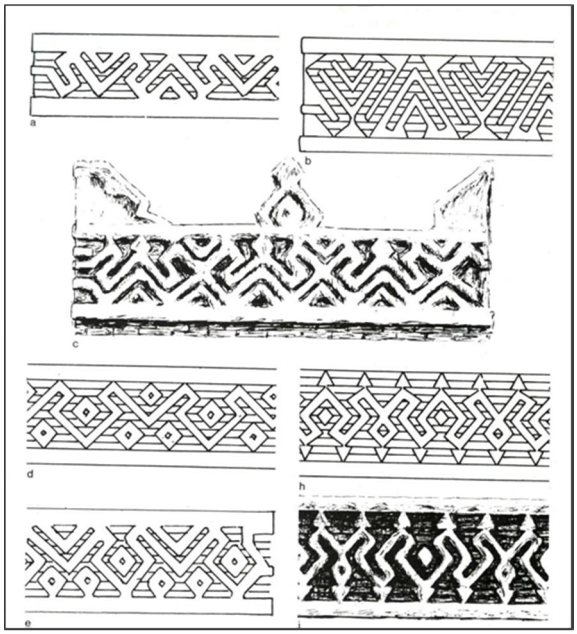

(شكل 29)

Abstract

Mosques considered the most of the most important Islamic buildings at all so, caliphs and governor raced to construct and decorate them, Yemen considered at the forefront of countries where the first mosque built from beginning of Islam in the era of Prophet Muhammad, peace be upon him Yemen has witnessed then widely prevalent for building mosques and other various religious buildings. In the city of Sana'a (capital of Yemen) considered the oldest Yemeni cites, has been constructed Different kinds of religious, civil and military buildings; rulers raced to pay attention to it because of historical and cultural value. Sana'a witnessed a great civilization renaissance during the first period of Ottoman rule in Yemen 945-1045 A.H-1538 /1635A.D that Ottomans governor established many Mosques keen to get closer to the god and to gain sympathy and love of the Yemenis. There is numbers of different factors have been affected in planning and shape of these mosques like Site, Space available, Genius of Yemeni architects, climatic factors, Requirements and local influences…..etc. The study includes a comprehensive survey of the remaining Ottoman mosque in Sana'a, and knowledge of the surrounding circumstances of its establishment, and the Affecting Factors on them.